
شيرين هنائي
لاشين
الكتاب الرابع - خلف قسم اللبان
رواية
KOTOPIA PUBLISHING HOUSE
كتوبيا
مكتبة
بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com



أكبر مكتبة للـكتب و الروايات الحصرية
والمميزة والنادرة بصيغة PDF

تابعونا على الموقع الرسمي

www.maktabbah.blogspot.com



t.me/alanbyawardmsr

مقدمة

أنا.. لاشين.

لا شك أنها الحقيقة الأهم التي يجب عليك استيعابها، إلى جانب كوني الأول، والأخير. ولتحمد الله على هذا. فالعالم لن يتحمل معرفة حقيقة ما مررت أنا به، ولا ما تسببت فيه، ولا ما أصبحت عليه.

أي لاشين آخر لا يُعوّل عليه، سواء كان من عائلة الدجّال الأشهر في طنطا: الشيخ لاشين، أو كان من خارجها. أي لاشين آخر عليه أن يتوارى حتى تنتهي الأزمة التي تسببت فيها عمدًا وبلا قصد.

هل يستأهل الأمر أن أحكي؟ لم أدرك ضرورة ذلك إلا مُتأخرًا، وكأن لا زال بداخلي ما يشفق على البشر ومصيرهم لو ظلوا على جهلهم. وأحيانًا ما أرى أن الجهل نعمة، فلو أن رصاصة خرجت من مسدس لتصيبك بعد كسر من الثانية، فبماذا ستستفيد لو عرفت أنها انطلقت؟ لا وقت للفرار، ولا لصلاة أخيرة.

لكنني سأحكي.. كفعل بشري أخير، ولأنني وعدت سهير زاهر، سأحكي.

* * *

سيوة - ديسمبر - ٢٠٢٠

اسمحوا لي أن أتوارى قليلًا، لأفسح المجال لصغيرتي سهير زاهر.

لم أقصد أن أفزعها أمس، لكنني بالتأكيد استمتعت للغاية بإفزاع ابنها شريف، وزوجها الضخم المتفاخر أسامة الصاوي، والشاب الأهوج مهاب عمارة. الأول والأخير لا ذنب لهما في شيء، لكنني لا أشعر تجاه أي شخص بأي مشاعر سوى الاستمتاع الخالص بإثارة الهلع.

ربما باستثناء الصغيرة سهير.. ربما.. أنظر إلى الطاولة خلفي وأرى بين الأسلاك والدوائر الكهربية والإليكترونية غنيمتي. مايكروفون عمارة قابيل، الذي أمضيت ليلتي بعد عودتي من القاهرة أحاول استخدامه للتواصل مع

مكتبة
maktbbah.blogspot.com

اللعين ابن قابيل في عالم الظُلَمات دون جدوى.

صار من الضروري أن ألجأ للخطة البديلة لاستعادة الأطفال الذين خطفهم الشيطان جبر. بالطبع مواجهة هذا اللعين المُتمرد هو هدفي لا أكثر، أقولها كي لا تستنتجوا أمورًا غير حقيقية عني، أو تُلصقوا بي بطولة لم أسع إليها.

من سمع منكم الحلقة الأخيرة من برنامج بعد منتصف الليل الموسم الثاني، سيكون لديه فكرة عما أتحدث عنه. ومن لم يسمع، فليتصرف، أو يُكمل القراءة وليفهم ما يفهم.

ما أريد قوله، هو أنني كنت زاهدًا في إدخال مهاب إلى متاهات الشياطين التي أنا حبيسها، لكن يبدو أنني سأضطر إلى إقحامه فيها حتى أستطيع التواصل مع جده؛ عمارة قابيل.

أما سهير زاهر، فعليّ أن أظل معها وهي تخطو خطواتها الأولى في عوالم الظُلمة والفزع هذا قدرها سواء تدخلت في حياتها أو لم أتدخل سأظل معها كي أرى أكثر من خلال موهبتها الغريبة في تصوير المخلوقات الماورائية، سأظل معها لهذ السبب.. وربما لسبب آخر لم تعد روحي المشوهة تفهمه.

في كتابٍ تالٍ سأحكي لكم رحلتنا إلى اليابان لصيد جبر، وهي أول تحقيق ما ورائي تقوم به سهير في حياتها. لكن لهذا جلسة أخرى..

سأحكي لكم ما حدث معها في ثاني تحقيقاتها، أو لنقُل أنه أول تحقيق مُنفرد لها، بدوني، إلا أنني كنت دائمًا معها، أسمع وأرى

أحكي لأن هذا هو أول طلب تطلبه مني سهير، لكنني أشك أن الحكي قد يفيدكم في شئ

تذكر انك حملت تلك الرواية من موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة

maktbah.blogspot.com

طنطا - ديسمبر ٢٠٢٠

ظلت الصغيرة سهير زاهر جالسة في صالة منزلها طيلة الليل، تتوسد رأس ابنها شريف -العشريني، صغير الحجم مثلها- فخذها النحيل، بينما يجلس أسامة جوارها يلف ذراعًا حول كتفيها، وذراعًا حول كتفي ابنته رانيا -العشرينية، الطويلة كأبيها- وقد وضع حفيده الرضيع عُمر بينه وبين ابنته.

ساعات أمضوها على هذه الوضعية الثابتة بعد عودتهم من ستوديو بث البرنامج في الجيزة. لم يتحدث أي منهم، ولم يغيروا ملابسهم.

مع شروق الشمس التي افترشت الصالة من النافذة خلفهم، نظرت سهير إلى أسامة، ثم إلى عُمر الهول الذي عانوه طيلة الشهرين الماضيين منذ بدء بث البرنامج بدأ يعود إلى نفسيهما مئات التفاصيل الصغيرة التي تُساند ما قلته لهم؛ شيطان الرعب قد احتل جسد عُمر، ولا سبيل لنجاته إلا قتله، أو قتل الشيطان.

فجأة، قام أسامة، فاستيقظت رانيا وابنها وشريف فزعين. فتح القط السمين مشموش عينيه الزرقاوين وأطلق فحيحًا وهو ينظر إلى عُمر. مدَّ أسامة قدمه أمام القط يمنعه من الاقتراب من حفيده وهو يهتف بشكل عادي حتى أنه بدا غريبًا مفزعًا:

- صباح الخير.. سأنزل لأشتري الطعمية والفول. رانيا، لا تغلي الشاي كثيرًا ولا تُكثري من النعناع. شريف، اغسل السيارة وهات الدوّاسات لأنظفها في البانيو. سهير، هل عندك حليب أم أشتري في طريقي؟

نظر الجميع إليه في غير استيعاب، وبلا حرف، قامت رانيا حاملة طفلها، مُحاذرة أن يطوله القط، وأودعته فراشه في حجرتها، ثم دخلت المطبخ وبحث شريف عن خُفيه وأخذ مُلمع الزجاج والفوطة الصفراء، ثم فتح باب الشقة نظرت سهير إلى زوجها وابتسمت، فابتسم لها وقال بصوت

maktabbah.blogspot.com

خفيض: - لن يحدث شيء لكم وأنا حي

ثم أضاف بصوت أعلى:

- ضعي الطعام لهذا القط ذكريني أن أشتري له المزيد ليلا حين نذهب إلى كارفور أجل. سنخرج جميعًا وسأدعوكم على العشاء

وحين خرج أسامة وأغلق الباب خلفه، ألصق ظهره به وأمسك برأسه كأنما ستنفجر.

***

ظل هاتف مهاب يرن طيلة الليل، أقاربه يريدون الاطمئنان عليه بعد ما سمعوه في البرنامج ردّ فقط على والدته وطمأنها، ورفض أن تأتي إليه أو تُرسل إليه أحد إخوته كان قد قرر الابتعاد عن كل شيء، حتى يثأر لأخيه على الأقل من الشيطان الذي قتله. لن يُورط عائلته في هذا المستنقع أكثر من هذا!

وصلته رسالة على واتساب، لفت نظره ما بدا منها في الإشعار الذي ظهر أعلى هاتفه. فتحها وقرأ:

«أنا ياسمين يا أستاذ مهاب. لا أعرف إن كنت تذكرني. أنا التي أتصلت بكم بخصوص موهبتي وموهبة أخي في تجسيد المشاعر. أردت فقط أن أطمئن عليك. اتصلت بأستاذ سهير وأخذت منها رقمك. آسفة على التطفل.»

لتحميل المزيد من الكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات .

أغلق مهاب هاتفه، وعينيه. تمدد على الفراش، فلم يرَ سوى الظلام ووجه لاشين القسيم المُرعب. الشعر الأبيض المتناثر في لحيته القصيرة وشعره ينير ظلام ملامحه. آخر حوار بينهما في الستوديو يتردد في عقله..

- مهاب، ألا تشعر بالغضب تجاه من قتل أخاك؟ كيف ستستعيد حياتك

maktabbah.blogspot.com

الطبيعية وأنت غير قادر على نسيانه ولا نسيان بشاعة ميتته؟

- هل يمكنك أن تساعدني في الوصول إلى القاتل؟

- إن أردت، سأوصلك.

الشقة خالية واسعة، لكنها تضيق به. العالم فسيح لكن لا تسعه رحابته.

لم يعد يرى له مكانًا في هذا العالم، وما يفصله عن مغادرته طواعيةً هو الأمل في الثأر.

***

في اليوم التالي، وجدتني سهير أمام باب منزلها أطلب منها السفر معي إلى اليابان، وقد ذهبنا وغدنا، تشاجرنا، وتركتُ أسامة يضربني ليفرغ شحنة غضبه.

سأحكي لكم لاحقًا كما وعدت. لكن دعونا نُكمل تسلسل الأحداث من بعد هذه السفرية.

***

انهالت المكالمات على سهير في الأيام التالية؛ مكالمات من برامج تليفزيونية شهيرة تدعوها للظهور والحديث عما حدث معها وعني، استدعاءات من جهات أمنية تطلب شهادتها عما حدث في الستوديو، مكالمات من أشخاص لا تعرفهم يعرضون مساعدتهم في الخلاص من ورطتها أو يطلبون مساعدتها في الخلاص من ورطاتهم.

مكالمات من عدد من البلدان يحكون لها كيف عاد أطفالهم الذين اختفوا -غير عالمين أن جبر هو من اختطفهم- ولم تُخبرهم بالكيفية التي عادوا بها. فكيف ستشرح أن الشيطان الذي أفزعهم في البرنامج هو من أعاد إليهم أطفالهم؟

maktabbah.blogspot.com

ثم جاءتها مكالمات تسألها عني، ولدهشتي كانت مكالمات من معجبات! في صغري كنت أتعجب من قد يتبع المسيح الدجال إن ظهر. والآن،

أتصور أن تطبع الفتيات صورة وجهه ذي العين الواحدة على قمصانهن وعلى أكواب القهوة.

هذا عالم يُرحب بالمسوخ، ويمهد لهم الطريق ويفرشه بالدماء والجماجم.

عالم يستحقني، ويستحق ما فعلته به.

لم يتحمس أسامة لأي من تلك العروض، إلا أنه لم يتوانَ في التعاون مع الشرطة بكافة السُبل لإلقاء القبض عليّ. ثم بعد أسبوعين، بدأ يهدأ أخيرًا، وجلس إلى منضدة المطبخ يحتسي الشاي ويكتب.

دخلت سهير وانحنت تُقبل رأسه. المطبخ ضيق يفوح برائحة غداء اليوم، لكنه المكان الذي يحلو لأفراد العائلة الاختباء فيه من الضوضاء خارجه.

- أسامة، ماذا تفعل؟

- أكتب أرقام هواتف وعناوين أفضل أطباء المخ والأعصاب في مصر. سنبدأ الأسبوع القادم في رحلة البحث عن تشخيص لحالة عمر.

- هل تصدق أن هناك تشخيصًا طبيًا لحالات المس الشيطاني؟

- أصدق أن ما يعانيه عمر ليس مسًا ولا أي شيء مما قال هذا الدجال المُقنع.

- تُصدق؟.. لكن هل تؤمن حقًا أنه ليس مسًا؟

رفع أسامة عويناته إلى ما فوق حاجبيه ومسح عينيه وهو يُجيب:

- لا أعرف.. لكني لن أترك بابًا للعلم إلا وطرقته.

- وماذا سنفعل حتى نفهم ما يحدث لنا؟ كيف سنعيش والخطر يحيق بنا ولا نعرف من أين سيباغتنا؟

- سنعيش يا سهير.. سنعيش حتى نموت.

***

maktabbah.blogspot.com

وانغمست سهير في الحياة. بينما أسامة يدور على عيادات الأطباء في القاهرة مع ابنته وحفيده -واللذين ظلا في صحبة رجاء أخت سهير، بينما يسافر أسامة إليهما يوميًا- ظلت هي في ستوديو التصوير العتيق الخاص بها، تضحك وتوزع الشوكولاتة في جلسات تصوير الأعراس، وتعقد حاجبيها وهي تضبط عدسة الكاميرا لتصوير الصور الرسمية ذات الخلفيات البيضاء.

حين هدأ صخب ذلك اليوم الشتوي البارد، بدأت في فتح الطرود التي تلقتها من موقع أمازون، وقد شغَّلت شريط أغانٍ متنوع من حقبة الثمانينات والتسعينات لا زال لديها العشرات من هذه الشرائط تضعها جوار الكاسيت ماركة سوني ذي البابين والمذياع المدمج .

كانت تخاف الظلام، لكنها تهاب الصمت أكثر. تهاب تلك الهمسات التي لا تكُف عن سماعها كأنما تأتي من داخل عقلها نفسه.

تذكر انك حملت تلك الرواية من موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة .

اشترت جهاز كشف حركة، وهو بالطبع عاجز عن كشف وجود الأجسام غير المادية، لكنها كانت في حاجة إلى أن تشعر بالأمان بكافة السبل الممكنة. واشترت كذلك قلم أشعة ليزر شبكية، يبعث أشعة بلون أخضر حوله في كل الاتجاهات، وتتصل به كاميرا صغيرة. مهمته هي كشف أي حركة أو ظلال مُتحركة وتصويرها في الظلام التام. أما آخر مشترواتها فكان جهاز «مِل ميتر» وهو مقياس لتواجد المجالات المغناطيسية واختلاف درجات الحرارة، حيث أنها قد قرأت أن لانخفاض درجات الحرارة وارتفاع النشاط الكهرومغناطيسي صلة بتواجد الأشباح.

تنظر إلى الصندوق ومحتوياته. هل حقًا تُصدق أن تلك الأجهزة تساعدها؟ هل اشترتهم حقًا للحماية، أم توطئة للهجوم؟

maktabbah.blogspot.com

نصحها أسامة أن تعيش حتى تموت، وقد قررت أن تبدأ في استكشاف عالمها بدلًا من الهرب منه لديها موهبة مرعبة، وما قاله لاشين -أنا- لم يكن

كلامًا فارغًا كل شيء في حياتها كان يَعِدُّها ليوم الحادي والثلاثين من ديسمبر ٢٠٢٠ .

زوجة عمها وقدرتها على رؤية الأشباح والجن، لقائي مرتين في فترة شبابها دون أن تعرف بوجودي، موهبتها في التصوير، تلك الهمسات الغامضة التي تنخر في عقلها، كتابها أشباح الموالد، اختيار البرنامج لها دونًا عن باقي ذوي الاختصاص، ما رأته في رحلة اليابان عبر عدسة كاميراتها.. لن تُحصي أبدًا الدرجات التي أوصلتها إلى ما هي فيه الآن.

جلست وبين كفيها الشاي بالحليب، وبدأت تقرأ رسائل صفحة البرنامج، بحثًا عن بداية، لكن تركيزها تشتت حين سمعت صوت علي الحجار يشدو:

الوقت مسا وهي لسه ولا هي حاسة..

آدم وحوا، هي وهو، الاتنين في قصة..

لكن ساعتها شافت ساعتها، رجعت لبيتها وأنا حزنت..

أغنيتنا..

***

بعد أسابيع من صدمة لقائي، ولقاء جبر وعبيده من الشياطين في اليابان، بدأ مهاب يتعافى تدريجيًا.

زار عائلته مرتين وقابل الشاب المراهق حسن، صديق عمرو أخيه، ووجد في لقائهما هذا سلوانًا خاصة أنهما يحملان ذات التوق للانتقام، لكن مهاب لم يُصرح لحسن كي لا يُشجعه على سلوك لا يناسب سنه، ولم يصرح حسن لمهاب خوفًا من نصحية الكبار المُتكررة له بأن يترك شئون البالغين للبالغين .

ثم في ليلة، تلقى رسالة من شاب يُدعى محمود الحسيني، من سكان الإسكندرية، يحكي له عن أمر غريب يحدث في حي اللبان، تحديدًا في

maktabbah.blogspot.com

شارع علي بك الكبير.

تقافزت عينا مُهاب بين السطور والصور المُرفقة ذات الجودة المُتدنية بسبب الظلام. محمود يدعي أن الشرطة لديها بلاغات بالحوادث، ورغم وجود الجثث في الصور، إلا أن الشرطة لم تجد أية جثث حين آتت، ولم يُستدَل على أصحاب الجثث من صورها. لا توجد بلاغات عن مفقودين، لكن الجثث تظل تظهر من وقتٍ لآخر طيلة الشهر الماضي، بداية من يوم ٢١ ديسمبر ٢٠٢٠. أربع جثث لأربع نسوة، واحدة منهن ليس لها صور .

يشكو محمود وسكان العقارات المجاورة من رائحة بخور قوية ودقات دفوف، وأصوات رجال ونساء وضحكات خليعة تصدر من العقارات؛ ٥ شارع ماكوريس، ٣٨ شارع علي بك الكبير، ٦ حارة النجاة، ٨ حارة النجاة.

أمسك مهاب هاتفه المحمول وطلب رقم سهير، كانت في الستوديو، تستعد كي تُغلق أبوابه وتعود مع قطها وشريف إلى البيت.

لتحميل المزيد من الكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات. .

أجابت سهير في لهفة بصوتها الطفولي الذي يكشف عن محبة خالصة لمهاب:

- مهاب! كيف حالك هذا أفضل شيء حدث منذ شهر سعيدة انك اتصلت بنا أخيرًا

- أنا أعود للحياة تدريجيًا، لكن أظنني كنت أحتاج دافعًا كي أركل الأغطية وأقوم من فراشي الدافئ أعتقد أن لدينا رسالة تحتاج إلى رأيك.

وكانت هذه الرسالة هي ما احتاجت سهير كي تركل أغطية خوفها، وتبدأ حياتها الجديدة.

*****

maktabbah.blogspot.com

-٢-

الإسكندرية - ٢٣ يناير ٢٠٢١

منذ أن ترجلت سهير من سيارتها السوزوكي ماروتي الصفراء، ولم تكُف عن تصوير كل شيء حولها، بداية من اللافتة الزرقاء الكبيرة الغائصة وسط طلاء البناية المُثبتة إليها، حتى الأرضية المُبللة ومصاريع نوافذ المنازل المهجورة المُتهالكة. لم تتوقع أن ترى شيئًا خلال تلك الصور، لكن كاميرتها صارت مع الوقت عضوًا من أعضاء جسدها، يعمل تلقائيًا دون أن تأمره بشيء... تأخر مهاب في الخروج من السيارة، فقد كان جالسًا طيلة الطريق وركبتاه تكادان تصطدمان بذقنه. هذه سيارة سيدة صغيرة الحجم لا تتسع لطوال القامة مثله. ثم أخيرًا مدّ يد ليفتح لحسن الباب الخلفي لأنه لا يُفتح من الداخل.

قال مهاب لحسن الذي كان يحمل حقيبة مُعدات سهير:

- حسن، لنتفق.

قاطعة حسن وكُرتا عينيه تدوران لأعلى مللًا:

- أعرف. أقسم بالله أعرف أنا هنا فقط كي أفعل ما تأمراني به، ولن أفعل أي شيء من تلقاء نفسي دون إذن. أفهم.

ابتسم مهاب وقرّب رأس الفتى إلى صدره. لسعت الدموع ما خلف عينيه، فتشاغل في هاتفه المحمول يتصل بمحمود الخسيني.

ريثما ينزل لهما الأخير، اقترب مهاب من سهير وهمس:

- لا زلت غير مُرتاح لوجود حسن معنا.

- ربيت شابًا مر بعمره من قبل. ما تمنع عنه مراهقًا، سيكون هو محور حياته لاحقًا. يجب أن يُخرج حسن ما يعتمل في صدره معنا، وإلا سيفعل ما يريد من خلف ظهورنا ولن نستطِع إنقاذه.

maktabbah.blogspot.com

نزل محمود الحسيني، الشاب الثلاثيني، ينتعل خُفًا بلاستيكيًا من تحته جورب، وبنطالًا رياضيًا فوقه بول أوفر ثقيل وكوفيه كان يسكن منزلًا من أربعة طوابق، عن يمينه مبنى متهدم تمامًا، والمفترض أن خلفه ما كان منزل ريا وسكينة، أو بمعنى أدق واحد من الأربعة منازل التي سكناها، والذي دفنوا فيه أغلب ضحاياهن.

أشار محمود لرجلين يرتديان الجلباب الصعيدي، ويقفان أمام سيارة بيجو ستيشن عمرها أكثر من أربعين عامًا، ثم هتف:

- هل هناك مشكلة؟

- شكرًا. نحن نتناقش قليلًا فقط

- سأرسل لكما شايًا

ثم اتجه نحو مهاب ومدّ يده الباردة يُصافحه ويقول:

- أنت أستاذ مهاب أليس كذلك؟ رأيت صورتك على صفحتك في الفيسبوك

- أهلا بك. أستاذ محمود؟

- أجل.. تفضلوا.. تفضلي يا مدام سهير. أهذا ابنك؟

- كلا

ظل محمود ينظر إليها مُنتظرًا المزيد من التوضيح، لكنها ابتسمت وأمسكت بيد حسن وتبعتهما صاعدة الدرجات النخرة القليلة المؤدية إلى الطابق الأرضي، إلى حيث تتزايد رائحة طهي الشتاء الشهي الدافئ.

كانت شقة محمود في الطابق الأرضي مفتوحة الباب، ويبدو أن كان هناك ضيوف قبلهم، فلا زالت أطباق الفاكهة وأكواب الشاي على منضدة الصالون الرخامية.

maktabbah.blogspot.com

خرجت سيدة في أواخر الخمسينات من خلف ستار مصنوع من ملاءة

منقوشة بنقوش شخصيات الرسوم المتحركة. صافحت الجميع ودعتهم للجلوس ثم بدأت الحديث ريثما يُحضر محمود الشاي.

- خُطوة عزيزة.

أجابت سهير في تلقائية:

- أعز الله مقدارك. احكي لنا ما حدث. هذا مهاب عمارة أعتقد أنكم تعرفونه، وهذا حسن مُساعدنا.

عقدت السيدة كفيها ونظرت نحو النافذة وهي تستعيد ما حدث وتقول:

- أنرتُم البيت.. محمود يعمل في وردية ليل في صيدلية قريبة، ويعود إلى المنزل بعد الساعة الواحدة. أعرف أنه لا يعود بعد انتهاء ورديته مباشرة.. شباب.. المُهم.. كان هو من وجد أول جثة في أواخر ديسمبر. عاد إلى المنزل يرتجف ويخبرني بما رأى. لم يُرِد أن يوقظ زوجته كي لا تخاف. طلبت منه أن يوقظ الجيران كي يقفوا معه حتى تأتي الشرطة. أيقظ سليمان وعزيز؛ الجارين في الطابق الثاني، ونزل الثلاثة ومعهم الكشافات وملاءة لتغطية الجثة، لكنهم لم يجدوا لها أثرًا.

جاء محمود بالشاي، وضع أمامهم ثلاثة أكواب، وظل في الصحفة التي يحملها كوبان آخران. قال وهو يرتدي الخُفين قبل أن ينزل:

- سأعطي الشاي للرجال ثم أعود. احكي لها يا حاجّة عن الجثة الثانية.

- حسنًا.. في اليوم التالي، سمعنا صرخة آتية من خلف المنزل، من الشارع الذي يظهر من هذه النافذة، وكانت سماح هي التي تصرخ.

- مَن سماح؟

- إحدى ساكنات الشارع خلفنا. كانت هناك أمطار وخرجت تُغطي الغسيل لتجد جثة امرأة أمام منزل ريا وسكينة خلفنا.

- وهل المنزل معروف أنه منزل ريا وسكينة سامحوني فلست سكندرية.

maktabbah.blogspot.com

- معروف. منزل رقم ٣٨ شارع علي بك الكبير. ولو نزلتما الآن ستجدان صور المرأتين والرجال الذين كانوا يساعدونهما مُعلقة مكان كراكون اللبّان القديم.

سأل حسن:

سأل حسن:

- المنزل تحول إلى مُتحف إذًا.

- كلا. فقط الصور مُعلقة في كافيتيرا ريا وسكينة فى الشارع. لا أعرف السبب، ولا أجدها فكرة صائبة. فالناس تأتي من وقت لآخر ليلتقطوا صورًا جوارها، ويسألون الناس عن الحكاية القديمة، خاصة بعد إذاعة مسلسل عبلة كامل وسمية الخشاب. الشارع كان مليئًا بالصحفيين والفضوليين وكأنهم تذكروا المرأتين فجأة. في الماضي كان أهل المنطقة يتحاشون الحديث عن هذه الفظائع، اليوم الناس يتباهون بها. الزمن تغيّر..

قالت سهير:

- أكملي حكايتك عن الجثة الثانية.

- هذه الجثة رآها أغلب أهل الشارع نزل محمود والرجال وغطوها اتصل محمود بالشرطة، وحين تأخّرت، حمل الرجال الجثة إلى مدخل منزل ريا وسكينة حفاظًا عليها من المطر ظل الرجال في انتظار الشرطة حتى قُرب الفجر. وحين جاءت أخيرًا، لم يجدوا أثرًا للجثة.

عاد محمود من الخارج وتلقّف الخيط هاتفًا:

- معي صورة هذه الجثة. ثوانٍ..

فتح الصور على هاتفه المحمول، ومرت الصور على سهير ثم مهاب وأخيرًا حسن الذي أعاد الهاتف إلى صاحبه وسأله:

- لم يتعرف أحد على صاحبة الجثة؟

maktabbah.blogspot.com

- كلا. لكنها لا تبدو من أهل المنطقة. كانت أربعينية أو خمسينية ترتدي بنطالًا من الجلد ومعطفًا ثقيلًا يبدو غاليًا.

سأل مهاب:

- وكيف قُتلت؟

- لا أعرف. لم يكن هناك أثر لدم أو طعنات. أخذت الشرطة الصورة وبحثت عن صاحبتها، لكن لم يُستدل عليها.

- معقول؟

- لا أعرف كيف يبحثون عن الناس. أنا أيضًا تعجبت، ألم يُبلغ أحد عن اختفائها؟ أليس لها صفحة على الفيسبوك فيلاحظ الناس غيابها؟

- لديك حق.

- المهم، الجثة الثالثة لم يجدها أحد حتى الصباح. كانت ليلة مطيرة، ووجدها عم هلال غارقة في الوحل والماء. المشكلة أن الجثة كانت قديمة بعض الشيء، وكان المنظر مُرعبًا للمارة. مُجددًا اضطررنا لإحاطتها بعوارض خشبية علقنا فوقها غطاءً بلاستيكيًا. لم يتحلق الناس حولها احترامًا لحُرمتها من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت الرائحة لا تُطاق. وحين وصلت الشرطة كانت الجثة قد اختفت.

تذكر انك حملت تلك الرواية من موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة.

رفعت سهير حاجبيها دهشة وسألته:

- كيف اختفت؟ أين ذهبت؟! هل كانت في مكان منعزل؟

- كانت جوار حائط المنزل رقم ٩ حارة النجاة. ولا سبيل لنقلها دون أن يلاحظ أحد.

maktabbah.blogspot.com

- والجثة الرابعة؟

- كانت هذه ليلة طويلة، بدأت..

***

جلست سهير مع مهاب وحسن في الكافيتريا التي أقيمت مكان قسم اللبان القديم، أو كراكون اللّبان كما عُرِف في الماضي. لم تكن كافيتريا بالضبط، بل هي أقرب إلى سرادق كبير مُعلقة على حوائطه صور نادرة لريا وسكينة لم ترها سهير من قبل. منها صور لزفاف سكينة ولضحايا السفاحتين وصورًا لأحكام القضاء وغيرها. مكان مُقبض بالنسبة لشخصية حساسة للصور كسهير؛ ترى خلف كل لقطة دماءً ووحشية وبؤسًا لا يُطاق.

أخرج مهاب مُفكرة صغيرة وراح يكتب فيها بخط مُنمق في البداية، سرعان ما تحول إلى خطوط متشابكة وأسهم ومخططات للشوارع مع أسماء متناثرة في أركان الصفحات تُحيطها دوائر.

- تخيلوا معي أن هذا مُخطط للشارع، هذا الكبير هو المنزل الذي وجدوا فيه أكبر عدد من ضحايا ريا وسكينة.. ٣٨ شارع علي بك الكبير، وهو الآن مفتوح على العقار جواره بعد التجديدات التي استحدثت على المكانين بعد أن ظل مهجورًا لأعوام طويلة بسبب خشية الناس من الاقتراب منه.

قالت سهير شاردة في عيني صورة سكينة:

- سمعت أن فيلم «ريا وسكينة» لأنور وجدي صُوِّر فيه.

- أنا أيضًا قرأت هذه المعلومة وأظنها حقيقية. انظرا هنا، يمكن أن نفترض أن هذا هو المنزل رقم ٨ حارة النجاة كما أخبرنا محمود، لكن أهالي المنطقة لم يؤكدوا هذه المعلومة لأن البيوت غير مُرقمة في الحارة. لكن هنا وجد محمود الجثة الأولى. المنزل عبارة عن مخازن، وهو نفسه قد ينهار في أي لحظة.

أشارت سهير إلى موضع على الرسم الكروكي في دفتر مهاب وقالت:

- أظن هذا هو منزل الجمّال. مكان ظهور الجثة الثالثة؟

- أعتقد هذا، حسب ما قال محمود وبعض الأهالي فهو منزل الجمّال. المشكلة أن أغلب المنازل بلا أرقام، وبعضها فُتح على بعض في عصور مختلفة، فهامش الخطأ مؤثر إلا في منزل علي بك الكبير فقط.

قال حسن وهو ينظر إلى الدفتر بدوره ويشرب النيسكافيه:

- لدينا شاهد واحد على الجثة الأولى؛ محمود الحسيني. أما باقي الجثث فالشهود على وجودها بالعشرات.

راحت سُهير تُقلب السكر في كوب الشاي بالحليب أمامها، ترى الشاي المُستخلص من الحبيبات في قاع الكوب كأنه دماء تسيل مُختلطة بالحليب. كفَّت عن التقليب وقالت:

- لم يظهر أي شيء ما ورائي قبل الجثة الرابعة لو لم نعتبر اختفاء الجثث شيئًا خارج قدرات البشر. الشهود على الظواهر الغريبة كُثر. سمعوا ضحكات خليعة، صرخات، رجالًا يتصايحون، أصوات حفر، دقاتِ دفوف..

قاطعها حسن ضاحكا :

- هذه التفصيلة فصلت اندماجي مع الأحداث. أغنية «حسرة عليها يا حسرة عليها» لا تُفارق مخيلتي.

قال مهاب وهو يُحاول أن يحتفظ بوقار يناسب الموقف:

- شخصيا لا أعرف ما الذي جعل أغنية شفيق جلال تتدهور من مجرد وصف جميل لبنت الحارة، إلى التحسُّر عليها بهذه الطريقة.

لم يبدُ أن سهير قد تابعت مقاطعتهما لأفكارها. أردفت:

- الأصوات ليست المشكلة الكُبرى هنا. السُكان رأوا أطيافًا ضوئية بيضاء مع رائحة بخور. ثم الجثة الرابعة..

مُشكلة واسعي الخيال مثل الصغيرة سهير أنهم قد يتخيلون ما يُحكى لهم بصورة أشد هولًا مما حدث في الواقع أعرف أنها ترى الأشلاء، والكلمة المكتوبة بالأمعاء البشرية، بل أنها تُشم الرائحة الضَدِنة وتسمع صوت

الأنسجة والدماء المُتجلّطة تتحرك حين يرفع أحدهم تلك الذراع أو هذه الساق عن الأرض.

كما حكى الحُسيني، بدأت الليلة التي وجدوا فيها الجثة الرابعة بداية مُبكرة، من بعد العِشاء. الصيدلية التي يعمل بها محمود ضمن نطاق الحوادث، وهي تُغلَق قبل صلاة العشاء، ويأتي محمود بعد الصلاة ليفتحها مُستلمًا الوردية الليلة من الصيدلي صاحب المكان محمود ليس صيدليًا، لكنه يحفظ مكان وشكل كل الأدوية، وتعلّم قياس الضغط والسُكر وحقن المقويات والمضادات الحيوية وإن صعُب عليه أمر، يرسل إلى الصيدلي عبر واتساب صورة للروشتة أو وصفًا لطلب الزبون.

حين دسّ المفتاح في قفل الصيدلية ودفع الباب الزجاجي، شعر بشيء خلفه يُعيق حركته حين استطاع أن يدُس جسده النحيل في الفرجة التي فتحها، باغتته رائحة عفِنة نظر إلى ما يُعيق فتح الباب فوجد كلبًا من نوع غير شائع في الشوارع، مُنتفخ، محفور على جلده بأداة حادة كلمتي «كلب نظلة».

بعد أن استوعب ما رأى، نادى على بعض من معارفه من العاملين في المحلات المُحيطة، وبمجرد أن وصلوا، اختفى الكلب. راح الشباب ينظرون إلى بعضهم البعض مُتذكرين أول جثة رآها ولم يرها سواه، مُتناسين أنهم رأوا بأنفسهم جثتين أخريين. لو صَحّ لي أن أتدخل –أنا لاشين لو كنتم تذكرون أنني الراوي- لقُلت أن محمود لم يكن أكثر الشباب استقامة، وتعاطيه للحشيش من آن لآخر مع بعض البيرة أو الخمر الرخيص معروف لدى الجميع. ليست وصمة كما لا بُد وأنكم ظننتم، لكنها مجرد تفصيلة تُقلل من مصداقية ما يرى أو يسمع خاصة في الليل.

بعدها عرفوا أن رائحة بخور كثيفة مخلوطة برائحة تحلل فاحت في شقق الطوابق السُفلية من بنايات المنطقة. لكن الروائح الغريبة تظهر وتختفي، وظهر لكل عائلة تفسيرها الخاص، ومرت الظاهرة بسلام مؤقتًا. قُبيل انتصاف الليل، سمع البعض همساتٍ، ثم ضحكاتٍ رقيعةً تخفُت

لتصير استغاثات واهنة. صوتٌ صليلٍ معدنيّ، شبابًا بذيئًا وحديثًا عن تنظيف العالم من العاهرات. أصوات كهذه لم تُخِف أحدًا، وإن أثارت تساؤلات بعضهم، ونزل بعض الرجال يتقصُّون مصدر الصوت، وهنا تلاقت روايات الليلة الغريبة، ووقف الرجال وسط شارع علي بك الكبير يتبادلون الشكوك، وتدلّت جذوع النساء من النوافذ والشرفات يحكين تفاصيل الروائح والأصوات، وقد زادت بعضهن تفاصيل أخرى من شعور بالقشعريرة أو قبضة القلب أو غيرها.

الأطفال يخرجون من أبواب الشقق المفتوحة لينتهزوا فرصة انشغال الكبار فيختلسون لحظات لعب إضافية مع بعضهم أمام مداخل البيوت. ثم بعد حوالي ساعة إلا رُبع، دوت صرخة أحد الأطفال، تلتها صرخات طفولية جماعية أيقظت الحي بأكمله.

في واحد من المنازل الأربع المذكورة في الأحداث -لن أحدد أيُّهم حفاظًا على خصوصية السكان كما طلبت العزيزة سهير- وجد أحد الأطفال أمعاء ممزقة وسط الصالة، تُشكل وضعيتها كلمة «قرن». ثم وجد الناس في شُقق مختلفة من نفس البناية أعضاء من جسد أنثوي؛ ذراعين، ساقين، ثديين، حوض. لكن لم يجد أحد الرأس.

صوَّر محمود وعدد آخر من السكان الأشلاء، ونقلوا النساء والأطفال إلى المباني المجاورة، ونال محمود نصيبه من الأطفال والنساء الذين حكوا لأمه وزوجته تفاصيل مُريعة عن الأصوات والأطياف التي رأوها من بعد العشاء حتى انتصاف الليل.

جاءت الشرطة، وهي المرة التي لم يختفِ فيها شيء. جمعوا الأشلاء واستجوبوا الحاضرين، ثم اتضح بعد ذلك أن الأشلاء من جثث نساء مُختلفات، على كل عضو وشوم مختلفة لا تعني أي شيء، مجرد أزهار وعصافير عادية، وكُلها خضعت لعمليات تجميلية في أوقات مختلفة من حياة صاحباتها، ما بين شدٍ للجلد أو تجميل خارجي أو تسمير صناعي..إلخ. مرة أخرى كلها إجراءات شائعة لا جديد فيها، لكنها تشير إلى

طبقة اجتماعية مُعينة.

تذكرت سهير حادث بني مزار، وأشلاء الجثث التي وجدوها في منازل مختلفة في نفس الوقت. ينقص حادث بني مزار الجاني والدافع للجريمة، أما في حالة جرائم حي اللبان هذه فكل شيء مجهول.

سألت سهير مهاب:

- متى استنتج السكان أن تلك الجرائم ذات صلة بريًا وسكينة؟

- لا أعرف، يجب أن نعود لمحمود مرة أخرى.

- نحتاج إلى مراجعة بعض التفاصيل سويًا أولًا، وجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن ريا وسكينة، ثم نضع مُخططًا لجولتنا غدًا بعد أن يكون محمود قد أبلغ السكان برغبتنا في سماع الحكاية منهم.

- سأتصل بمحمود. حسن.. اجمع كل ما قد تجده عن ريا وسكينة على الإنترنت، استخدم اللابتوب الخاص بي.

أومأ حسن مُبتسمًا، قالت سهير:

- أنا سأراجع بعض المعلومات عن الأطياف والأشباح، وسألقي نظرة أخرى على الصور التي صورها محمود. هيا نعود إلى الفندق، لا أشعر براحة وسط تلك الصور الكئيبة.

***

بمجرد أن دخلت سهير حجرتها في الفندق المريح في المنشية، اتصلت بأسامة وحكت له كل ما حدث بالتفصيل.

- أرى أنها مجموعة جرائم لهدف ما. هل فكَّرتِ أن هناك من يريد إخراج سكان هذه المنازل منها وشرائها بثمن بخس وهدمها مثلا لإقامة بُرج سكني أو ما شابه؟ فكري في الاحتمالات المُحيطة بهدفٍ كهذا.

- فكَّرت في هذا الاحتمال بالفعل يا أسامة، لكن هل كان من الضروري أن

تكون هناك جثث؟ وأين اختفت؟ أعتقد أن إخراج السكان من بيوتهم لا يحتاج أكثر من تخويفهم بأصوات مثلًا..

- لديكِ حق. يبدو من الصور التي أرسلتها أن الجثث قُتلت في مكان آخر، فمنهم جثة متحللة تقريبًا، ومنها أشلاء لا تقطر دماءً. لاحظي كذلك أن الأمعاء نظيفة. لكنني أتسائل، هل هناك معنى وراء اختيار نساء بوشوم على أجسادهن؟

- لا أعرف. المهم، قلت لي أن رانيا مُرتاحة عند رجاء؟ - أجل ويبدو أن عمر هادئ بعيدًا عن مشموش الأشعة المقطعية سليمة والطبيب النفسي لم يجد مشكلة مُحددة لديه إلا مشكلة شهيته الغريبة، لكنه طلب لقاءنا جميعًا هناك بعض المشاكل في الجهاز الهضمي نتيجة..

لم يُكمل أسامة، وهزّت سهير رأسها في تفهم. عُمر يأكل اللحوم والدواجن نيئة ، وحين أبعدوا عنه تلك الأشياء، بدأ يأكل الحشرات والأبراص.

لن تنسى سهير المرات التي استيقظت فيها على صوت مواء مشموش الغريب، وصوت ارتطام مستمر، لتجد أن القط يتشبث بالطفل، بينما الأخير لا يُصدر عنه أي صوت، فقط يتمرّغ ويصطدم بالأثاث والحوائط في محاولة للخلاص من مُهاجمه.

بشكل ما يستطيع هذا القط الوصول لعُمر مهما أغلقوا الأبواب عليهما.

ضحكت سهير ضحكة مريرة وهي تذكر حالة الإنكار الرهيبة التي تملّكت من زوجها. رغم ما رآه وسمعه لا يزال مُصرًا أن هناك تفسيرًا «علميًا» لكل هذا.

دعني أسألك، ماذا يا دكتور أسامة لو أن ما تعتبره خرافات هو «علم» وله تفسيراته؟ أتذكُر أيها المُثقّف كيف كانوا يرمون العلماء بتُهم السحر والهرطقة في الماضي؟ الآن ندرس علومهم باعتبارها «العلوم» الحقيقية، وما غير ذلك مجرد علوم زائفة ساقا العلوم مُكبّلتان بسبب المُتعجرفين

مُدعي العلم أمثال أسامة الصاوي.

لكن صغيرتي سهير حكيمة كفاية كي تستطيع ترويض غروره، وفعل ما تريد هي دون أن تُعانده بشكل مباشر.

رغم قربها منه، إلا أن وجود شخص مُنفتح مثل مهاب أراحها كثيرًا؛ هو يسمع ويُحلل ولا مانع لديه من مجاراة أي فرضيات حتى النهاية مع الوقت، لم أجد مهاب سيئًا إلى هذا الحد، بل إنني لو كنت قابلته قبل وفاة أبي، لصرنا أصدقاء.

أخيرًا، تمددت سهير على فراشها دون أن تُغير ملابسها، واستسلمت لصوت الضوضاء والسيارات بالخارج، ونامت.

***

مزية هذا الفندق الذي اختاروه في المنشية هو التغاضي عن بعض التفاصيل التي تتمسك بها الفنادق الكبرى.

لحسن بطاقة شخصية، لكنهم لم يمانعوا في أن يسكن مع مهاب في حجرة مزدوجة رغم عدم وجود صلة قرابة بينهما. هناك مزية أخرى، أنهم لا يمانعون أن يجلب النزلاء طعامهم معهم من الخارج، هذا بالطبع إلى بالإضافة إلى سعره المناسب لحملتهم التي تفتقر إلى تمويل.

جلس مهاب وحسن مُتربعان على فراش الأول، بينهما شطائر الكبدة السّكندرية الشهيرة، والأوراق المتناثرة واللابتوب. قال حسن بعد أن أفرغ عُلبة البيبسي في حلقه:

- لا أصدق من يزعمون أنهما كانتا تقتلان الإنجليز.

- الأمر واضح يا حسن. هما سفّاحتان عاشتا في وقت كساد عظيم، وكل حياتهما مليئة بالعنف والفجور.

- والبؤس. حياة آلاف المصريين وقتها كانت بائسة للغاية كما تذكُر المراجع سنحتاج إلى ساعات لقراءة كل المعلومات التي جمعتها، والحقيقة

أنا لا أعرف إلى متى سنظل هنا، لكنني أريد التمشية جوار البحر هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها الإسكندرية.

ابتسم مهاب وأخذ اللابتوب وقال وهو يُخرج محفظته من جيب سرواله المُلقى على الفراش:

- أنا سأقرأ كل شيء. يمكنك الذهاب إلى حيث تريد لكن لا تضل الطريق. لو حاولنا إنقاذك سنضل نحن أيضًا. خذ هذا.

نظر حسن إلى المال في يد مهاب، وتراجع خطوة إلى الوراء وهو يرفع كفيه ويقول:

- لا لا.. معي مال.

- اشترِ لنا أي شيء يؤكل في طريق عودتك. ثلاثة من أي شيء.. هيا خذ المال.

في خجل، دسّ حسن المال في جيبه وخرج، يجوّل في الشوارع حول الفندق، مُستعينًا بخرائط جوجل كي لا يضل الطريق. ابتاع ثلاثة عُلب من الآيس كريم من مكان قريب ثم عاد أدراجه.

تحت الفندق في ساحة الانتظار، رأى حسن سيارة بيجو ستيشن، قد لا يعلم أن عمرها أكثر من أربعين عامًا، لكنه ميّز الرجلين الجالسين فيها. في مقعد السيارة الخلفي لمح شخصًا آخر، طفلًا ذا شعر أشعث غريب المنظر، لم يستطع تمييز ملامحه، لكن شعره كان غريبًا للغاية كأنه مصنوع من سلك تنظيف أواني الطبخ.

لتحميل المزيد من الكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات .

لمح واحدًا من الرجلين ينظر إليه عبر المرآة الجانبية، ثم يحيل نظره بعيدًا وقد أدرك أن حسن لاحظه.

اتصل حسن بمهاب، فنزل الأخير فورًا بملابسه الرياضية المنزلية، ليجد

أن السيارة قد انطلقت قبل وصوله بلحظات.

في العاشرة والنصف مساءً اتصل محمود الحسيني بمهاب يصرخ، ويطلب منهم المجيء فورًا.

* * *

في الحادية عشرة وخمس دقائق، وصلت سيارة سهير عند أول الشارع، وأبصروا الناس يتحلقون حول صيدلية.

تقدّم مهاب المجموعة مُفسحًا الطريق لسهير وحسن، لكنه توقّف فجأة، ومد ذراعيه إلى جانبه كي تتوقف سهير عن التقدم.

- ماذا حدث يا مهاب؟

- لا تنظري..

لكنها وقفت على أطراف أصبعها ونظرت. خلف باب الصيدلية الزجاجي الموارب، كلب بلدي في مرحلة بداية التحلل، مكتوب على جانب بطنه بأداة حادة «كلب نزلة».

على حد علمها، فلم يكن هذا هو الكلب الأول الذي وجده محمود، لكن الأخير كان واقف يرتجف ويرشف الماء من «كوز» بلاستيكي. حين رأى مهاب وسهير هرع نحوهما هاتفًا:

- كيف دخل هذا الكلب؟ ومن أدخله؟ وماذا يعني هذا المكتوب؟!

سألته سهير:

- اهدأ، ودعنا نجلس. هلا صرفت الناس كي نستطيع الحديث؟

طمأن مهاب الجميع أن كل شيء على ما يرام، وبدأ المتحلقين ينصرفون كل إلى حال سبيله بعد أن تطوع أحدهم بإخراج الكلب ووضعه جوار جدار مُتهدِّم. رفعت سهير حاجبيها وهتفت:

- أليس من المفترض أن نترك كل شيء كما هو حتى تحضر الشرطة؟

أجاب محمود في يأس:

- أي شرطة يا مدام؟ نتصل بالشرطة من أجل كلب؟ ثم إننا اتصلنا بالشرطة بما يكفي هذه الأيام، ولن يفعلوا شيئًا أكثر من استدعائنا وحبس بعضنا حتى يعترف أي شخص بمسؤوليته أو مسؤولية أي شخص آخر عما يحدث.

قال حسن:

- هذه أدلة مهمة وقد ضاعت منا، لكني أفهم ما يقول الأستاذ محمود. في مرة وقع والد صديق لي في مشكلة لأنه أوصل رجل أصيب في حادث إلى المستشفى ومات قبل أن يصلا. ما حدث له ولغيره يُبرر خوف الناس من التورط مع الشرطة حتى لو كانوا هم المجني عليهم.

أضاف مهاب موافقًا:

- الخوف يا أستاذة سهير هو ما يضيع أغلب أدلة القضايا، بل إن الخوف هو ما يتستر على جرائم لا تُصدَّق؛ الخوف من الإبلاغ، الخوف من المجرمين، الخوف من النشر حتى.

ذهب حسن ليلتقط المزيد من الصور للكلب، أمامه الجدار المتهدم، وخلفه الصيدلية، وعن يساره حارة مُظلمة لا يُضيئها إلا بعض أنوار محال البقالة الصغيرة. سطع فلاش كاميرا الهاتف المحمول عدة مرات قبل أن يلاحظ حسن الشخص الواقف بين الكلب والجدار. ظهر فجأة، فأجفل حسن وتراجع إلى الوراء وهو يُسلط كشاف الهاتف المحمول نحوه.. أو لنقُل: نحوها.

كانت فتاة نحيلة للغاية تصغره عمرًا، ترتدي جلبابًا أبيض ملامحها غليظة خشنة، وشعرها قصير كأنه.. كأنه مصنوع من سلك تنظيف أواني الطبخ.

ابتسمت بشكل طبيعي، وقالت:

- لا مؤاخذة.

- .. من أنت؟

- أنا أسكن هنا منذ زمن. رأيت الحريم القتلى. هل رأيتهن؟

- رأيت صورهن. أين تسكنين؟

- في علي بك الكبير نمرة ثمانية وثلاثين.

- آه.. منزل ريا وسكينة نفسه! أعتقد أن أستاذة سهير ستود أن تسمع منك بعض التفاصيل.

ارتبكت الفتاة وهي تنظر نحو سهير ومهاب، ثم ثبتت عينيها عند محمود وبدا القلق على وجهها فقالت:

- لاحقًا. سأعود. زوج أمي أمرني ألا أتحدث مع الغرباء وإلا..

اتسعت عيناها وهي تهمس:

- قتلني كما قتل الحريم.

- أبوكِ هو القاتل؟!

هزّت رأسها في ذعر، وأدرك حسن أنها لم تتجاوز الحادية عشرة أوالثانية عشرة من عمرها بأية حال. همست:

- لو ظللت هنا الليلة، سأعود لك.

- كيف ستجدينني؟

- لا تقلق سأذهب الآن، لكن وحياة سيدي عماد لا تُخبر أحدًا أنك رأيتني

انطلقت الفتاة سيئة التغذية تجري حتى اختفت في ظُلمة الحارة للحظات لم يسمع حسن نداء مهاب المُتكرر التفت إليهما فوجد محمود يتحدث في الهاتف ويسأل:

- يا الليلة السوداء! عزيز يا حاجة؟ مُتأكدة؟!

هتف مهاب:

- يبدو أن الليلة ستمتد أطول مما نتوقع. يبدو أن عزيز -جار محمود- في ورطة ما ورائية ما..

* * *

احتشدت النساء مرة أخرى في شقة محمود الحسيني، وجلست سهير وسطهن في حيرة وحرج بالغين زوجة عزيز تطلم الخدين وبناته المراهقات ذاهلات كأنهن في كابوس ظلت زوجة محمود تنظر لهن في خوف لم تفهمه سهير، وإن كانت تتوق لمعرفة تفاصيل ما حدث .

استأذنت سهير أن تخرج إلى الشرفة لتجري مكالمة، لم يلتفت إليها أحد ولم تلاحظ أيهن وجودها أصلًا. طلبت مهاب، فردَّ الأخير مُتأخرًا.

- أستاذة.. آسف، كنت في قبو منزل رقم ٣٨ مع الرجال. سمع ساكن في منزل مجاور صوت انهيار ثم صرخة، فأخبر صاحب العقار الذي فتح حمام الورشة ليجد عزيز ميتًا أمام الحوض وقد سقط عِرق خشب من السقف فوق رأسه.

- حادث مؤسف قطعًا، لكن ما المشكلة الماورائية في ذلك؟

- أولًا، حمام الورشة جزء من حجرة ريا وسكينة بالطابق الأرضي، ستفهمين المكان حين ترينه، المهم أنه مات في مكان دفن ضحايا ريا وسكينة، ولا سبب لنزوله إلى حمام الورشة في هذه الساعة ولا في أي ساعة أخرى، فلا علاقة له بالمكان من الأساس. فقط عمال الورش هم من يستخدمون دورة المياه هذه نهارًا. أما عِرق الخشب الذي سقط فوق رأسه، فكان نخرًا أكله السوس. ثمة تفصيلة أخرى، باب حمام الورشة كان مغلقًا بالقفل من الخارج، فكيف دخل عزيز؟

- هل يمكن أن أرى المكان الآن؟

- صعب. لكن سأتفق معهم كي يدعوكِ ترينه صباحًا.

- سأمكث في السيارة حتى تنهي ما تفعل. لا تنسيا أن تصورا لي كل شيء.

- حسن صور فيديو كذلك. لا تقلقي. لا أجد داعيًا للبقاء معهم الآن، سنقابلك عند السيارة.

دخلت سهير من الشرفة، واستأذنت مرة أخرى في الرحيل، قامت والدة محمود وأمسكت يدها وهمست:

- هل ستعودين غدًا؟

- إن شاء الله.

- أنا خائفة يا ابنتي.. هناك شيء تعرفه زوجة ابني وزوجة عزيز ولا عِلم لي به. لا أعرف ماذا يحدث، بالله عليكِ.. عودي وأخبريني إن عرفتِ أية تفاصيل.

دسَّت ورقة نتيجة في كف سهير ثم أضافت:

- اكتبي لي رقم هاتفك بسرعة.

* * *

وقفت سهير جوار سيارتها مُحتمية بمدخل منزل مهجور، فقد بدأت الأمطار الغزيرة في الانهمار، وسرعان ما وصل منسوب الماء في الشارع إلى ارتفاع يزيد عن مستوى الكاحل عند بعض الوِهاد، وراح يتسرب في بعض المواضع بين الرصيف والمنزل خلفها. كيف لم يسقط المنزل التعس بعد كل هذه المياه التي تُشبِع أساساته العتيقة؟ معجزة أخرى من معجزات المنازل القديمة.

كانت سهير تنظر نحو المنزل رقم ٣٨، لا ترى شيئًا في الظلام، فقط ظلال الرجال أمام ضوء المدخل ودُكان الكهربائي. أضواء كشافات الهواتف المحمولة تتحرك هنا وهناك وتبعث عشرات الظلال الضخمة المُخيفة.

أخرجت سهير كاميرتها الحديثة، ونظرت عبر عدستها كي ترى ما يحدث هناك بشكل أفضل. لمحت مهاب وحسن يتحدثان قرب المدخل وحسن يُشير إلى هاتفه المحمول ويُري مهاب شيئًا على شاشته. خرج محمود الحسيني من باب حمام الورشة وأمسك بكتف مهاب وراح يتحدث بعصبية شديد.

لمحت سهير في منتصف الشارع بالضبط سيدة غريبة المنظر. قصيرة، سمينة، ترتدي جلبابًا و.. تلف حول جسدها ملاءة سوداء لامعة تُغطي بها رأسها، وعلى وجهها بُرقع ذو قصبة أنف لامعة. لم تكن السيدة مُبللة ولا يبدو أنها تعبأ بالأمطار. كانت تقف على أطراف أصابعها تتمايل كي ترى ما يتجمهر الرجال حوله.

أحدهم عَبر جريًا جوارها وهو يستظل بسُترته، كاد يصطدم بها، لكنه لم يعبأ بها ولم تره من الأساس.

أنزلت سهير الكاميرا عن عينيها، فاختفت المرأة من المشهد.

ارتجفت سهير وأخرجت هاتفها المحمول تتصل بمهاب، بينما تمسك الكاميرا بيد واحدة تُسجِّل صورة المرأة.

- مهاب، ماذا تفعلون عندكم؟

- محمود يُصر على أننا نصابان ولم ننفعهم في شيء، ويريد حلًا حالًا لما يحدث.

- نحن لم نُمضِ يومًا كاملًا معهم حتى! لكني أظنني وجدت شيئًا مهمًا. ثمة شبح أمامك، على بعد ثلاثة أمتار.

- ماذا؟

رأت مهاب يُحدق إلى المرأة ولا يراها. اقتربت الأخيرة منه وهي تتحدث إليه وترفع البُرقع عن وجهها.

- مهاب، المرأة تتحدث إليك! أنا آتية!

غطت سهير رأسها بالشال الصوفي الذي كانت تضعه علىكتفيها، الأصوات والهمسات تزداد وضوحًا كلما نظرت إلى شاشة كاميرتها، راح حذاؤها الرياضي يضرب الماء فينثره حولها ويُبلل بنطالها الواسع ويُلطخه وساقيها بالطين.

اتسعت عينا محمود وهو يسألها:

- ماذا تقولون؟ ثمة شبح هنا؟! مستحيل!

رفع حسن حاجبيه وتساءل:

- مستحيل؟! أنت من اتصلت بنا كي نعرف سر الأشباح عندكم، والآن تتعجب من وجودها؟!

نظر الأربعة إلى شاشة كاميرا سهير الرقمية، ورأوا السيدة تتحدث والدموع تنهمر من عينيها وتصبغ وجهها بالكحل الأزرق. قالت لها سهير برفق:

- أنا سهير، لا تخافي.. أنا أسمعك.. سأركّز أكثر وأسمعك.

تحاول سهير لأول مرة الاستسلام للأصوات في عقلها، تحاول اقتحام أكبر مخاوفها.

لم تنتبه المرأة لسهير. أردف مهاب وقد أدرك أنها شبح من عصر قديم:

- لا تخافي.. هذه كاميرا.. شكلها مختلف قليلًا، لكن سهير «مصوِّراتية». تصور الناس.. هل تفهمينني؟

قالت المرأة شيئًا وهي تنظر إلى مدخل حمام الورشة. توتَّر محمود واستند إلى حائط المنزل وراءهم، مُختبئًا وسط ظلاله.

أوقفت سهير التسجيل، وأعادت مشاهدة ما سجلته. لم تكن المرأة تُردد سوى سؤال واحد: هل وجدتم ابنتي؟ أعرف أنها هنا، هل وجدتموها؟

بغتة، قذف محمود الكاميرا بعيدًا عن يد سهير، فانقض عليه مهاب يُمسكه

ويقيد ذراعيه خلف ظهره.

- هل جُننت؟!

- ارحلوا من هنا.. ارحلي!

ترك الرجال الجثة خلفهم واجتمعوا حول محمود ومهاب. نظرة واحدة إلى سهير التي تحاول إنقاذ الكاميرا من الماء ففهموا أن أعصاب محمود قد انفلتت بشكل بدا أنهم ألفوه.

قال أحد الرجال كبار السن في حرج واضح:

- لا مؤاخذة يا مدام حقك على رأسي.

ثم جذب كُم محمود وهتف:

- أتضرب النساء؟ لا بُد لك من وقفة إن كنت ستتعاطى «الهباب» الأسود هذا فلا تفضحنا معك

- يا عم هلال..

- اصعد إلى شقتك. الآن!

التفت هلال نحو الرجال وأكمل حديثه:

- لا نريد زحامًا هنا. اتصلت بالشرطة وبأخي عزيز. شكرًا لكم جميعًا، عودوا إلى بيوتكم لم تعد الشوارع آمنة.

التفت إليه محمود الذي يمسك بذراعه أحد الشباب، وصاح بصوت مجنون:

- ولم تعد البيوت آمنة!

* * *

الساعة جاوزت الواحدة صباحًا سهير ومهاب وحسن يجلسون في مغسلة عم هلال على بُعد أمتار من مكان الحادث جاءت الشرطة واتفق أهل

الفقيد ألا يذكروا شيئًا عن كون الحمام كان مغلقًا من الخارج كي لا يدخلوا في «سين وجيم» وتحقيقات قد تُؤجل الدفن، فإكرام الميت دفنه، وإكرام الحي البُعد عن الشوشرة والمشاكل.

قال هلال وهو ينظر إلى الأرض في حزن:

- رحمة الله عليه. لقد ستره الله فلن نفضحه.

سأل حسن:

- ألا ترى أن إخفاء التفاصيل عن الشرطة يُعرضكم جميعًا للخطر خاصة في وجود قاتل مُحترف هنا؟

- يا بُني، لعزيز بنات، ولا نُحب أن نُسيء إلى سمعتهن. الفهم.. لا أفهم حتى الآن ماذا تعملون بالضبط؟

أجابت سهير :

- نحن صحفيون. نُسجل الأحداث الغريبة و.. نعرضها على الإنترنت.

- وكيف عرفكم محمود؟

- عبر الإنترنت. لدينا برنامج على يوتيوب وهو من مُتابعيه.

- فهمت، فهمت.. أصلح الله حالكم. قولي لي كم ثمن الكاميرا؟

- لا تعبأ بها يا سيدي. هي في فترة الضمان وسأصلحها، لا تقلق. شكرًا لك.

- لن يحدث هذا، سأصلحها على حسابي

سأل حسن بلا مُقدمات:

- هل لمحمود بنات؟

لم تعرف سهير سبب سؤال حسن المفاجئ، لكن مهاب فهم فورًا، فقد حكى له لقاءه مع الفتاة ابنة القاتل. أجاب الشيخ:

- لديه بنتان وولد.

- هل من بناته فتاة سمراء نحيلة ذات شعر خشن أشعث؟

- كلا يا بُني. لماذا تسأل؟

- أبدًا، قابلت طفلة هنا جوار الصيدلية و.. ظننتها ابنته لا أكثر.

هز الرجل رأسه في فهم. وجدتها سهير فرصة كي تعرف أكثر عما يحدث، استعادت النقاط التي أثارت فضولهم طيلة اليوم، ثم سألته:

- قال لنا محمود أنك كنت أول من رأى الجثة الثالثة. احكِ لي..

- أبدًا، أنا معتاد على فتح دُكاني مُبكرًا، أعود من صلاة الفجر فأنام ساعة ثم أنزل. كان يومًا مطيرًا والشوارع خالية. رأيتها وسط بركة ماء ووجها لأسفل. ظننتها سيدة فقدت وعيها أو.. لم أفكر فيما هو أبعد. قلبتها على ظهرها لأجدها.. وجهها ملطخ بالبقع الزرقاء، متورم، عينيها غائرتين، لسانها..

سعل هلال، وهي سعلة تُغلق الباب في وجه المزيد من الأسئلة عن التفاصيل الكريهة لهذا اليوم. سأل مهاب:

- هل عاصرت أي أحداث غريبة في المنطقة يا عم هلال؟

- أنا مولود هنا، وأعمل في هذا الدكان منذ كان مملوكًا لأبي؛ كوَّاء المنطقة. الآن صار الدكان مختلفًا، صار مِغسلة ومصبغة.

نظر مهاب إلى الغسالة العملاقة خلفه، ومنضدة الكواء عن يساره أمامها مجموعة من البطاطين المطوية في أكياس شفافة. أردف الرجل:

- لم أر شيئًا غريبًا ولم أسمع بجرائم بهذه البشاعة. الشارع أمان منذ سنوات طويلة.

- ألا يزعجك ما اشتهرت به المنطقة من أمر ريا وسكينة؟

- أبدًا. هذه أمور حدثت وانقضت. الزمان تغير والظروف تغيرت. أيام ريا

وسكينة لم يكن هناك إنترنت ولا هواتف محمولة ولا ولا.. النساء تسير مُغطاة الوجوه لا يُميزهن أحد. الكراخانات -لامؤاخذة- كانت مُرخصة وموجودة في كل مكان. غير «المحاشِش» والخمارات وغيرها وغيرها.. انظروا، دُكاني صغير لكن لدي كاميرا مُراقبة. أغلب المنازل والمحال حتى في الأماكن الشعبية بها كاميرات مراقبة. ثمة كاميرا أيضًا عند متجر بيع الهواتف المحمولة أول الشارع.

نظرت سهير إلى مهاب وحسن، فبادلوها النظرات. سألت:

- ولم تُفرغ الشرطة تلك الكاميرات؟!

- أفرغتها. الكاميرتان لا تُظهران المباني بشكل كامل، فقط الرصيف من أعلى والشارع، وهذا هو المطلوب لا أكثر. الولد سليمان هو من ركّب هذه الكاميرات بنفسه وضبطها على أفضل وضع.

سأل حسن:

- سليمان هذا جار محمود؟

- أجل هو. وجار عزيز رحمه الله.

حكّ مهاب ذقنه مُفكرًا وهو يتمتم:

- ماذا يعمل سليمان؟

- فني اليكترونيات. هو «يُلقّط» لقمة العيش من هنا وهناك. شاب جدع، يختلف عن محمود و.. لا يجوز ذكر الميت إلا بالخير.

- ماذا وجدت الشرطة في الكاميرات؟

سأل حسن في فضول:

- هل سمعت تلك الأصوات الغريبة التي زعموا أن الجميع سمعها؟

- كلا. أنا لا أسكن بالقرب من هنا. الأصوات سُمِعت فقط في منطقة الجرائم الأربع. لا أعرف ماذا يحدث.. ولماذا يحدث الآن بالذات؟ يكفينا

الرعب من المرض وقلة الرزق. لطفك يا رب.

آخيرًا، سأل مهاب سؤال أنتوى أن يكون الأخير:

- عم هلال، كيف تعرفون تحديدًا أماكن منازل ريا وسكينة؟

- لا نعرف سوى منزل علي بك الكبير، لا يمكن تحديد أماكن باقي المنازل بدقة. قلت لكم أن كل شيء اختلف. لكن من وقت لآخر تظهر شائعات أن هذا أو ذاك منزل ريا وسكينة كونه مهجوزًا منذ زمن أو لزُهد المُشترين فيه.

- ولماذا يزهد المشترون في منازل هذه المنطقة تحديدًا؟ أليس هذا دليلًا على أن هناك شيء ما مُريب؟

- أبدًا.. لو اشتريت أحد هذه المنزل فستخسر نصف مساحته تقريبًا لأنك ببساطة ستضطر إلى تسليم الحي ما يشغله العقار من حرم الشارع الأصلي الذي كان البيت يحتله دون حق. من قد يريد قطعة أرض عريضة رفيعة؟ المنازل التي تُباع هي فقط التي تشغل مساحة معقولة أو تُطل على شارعين. هذا الحال يسري على كل الشوارع القديمة يا أستاذ إيهاب.

- مهاب.. أنا..

ضرب حجر باب محل هلال، قام الرجل ينظر من فعلها، لكن الشارع كان خاويًا تمامًا بعد رحيل الشرطة.

عاد هلال إلى الداخل، فقام مهاب هاتفًا:

- شكرًا لحُسن استضافتك. توقف المطر ويمكننا العودة إلى الفندق في أمان.

- شرفتموني.. اتركي الكاميرا هنا ليراها سليمان. هو بارع في الإصلاح.

قالت سهير:

- ألف شكر لك.. سأحتاجها كما هي..

أمسك هلال الكاميرا وتشبث بها لحظات، حدقت سهير إلى عينيه الذابلتين في إصرار، فترك الكاميرا وعيناه لا زالتا مُثبتتين عليها.

قبل أن تصل المجموعة إلى الباب، قُذف حجر آخر ليرتطم بالحائط المُقابل، بعد ثانيتين، انهالت الأحجار تضرب واجهات المنازل بلا توقف. دخل الجميع إلى عُمق المتجر واحتموا في الركن جوار الغسالة الضخمة، وظل هلال يُبسمل.

أخرجت سهير هاتفها المحمول وبدأت تُصور لكنها لم تر شيئًا. سقط رف فوقهم، فصرخت وطار الهاتف من يدها ليستقر عند طاولة الكي. هتف هلال:

- ماذا تصورين؟! كنت أظنك كبيرة وعاقلة!

توالى صوت الاصطدام وتهشم النوافذ واختلطت بصراخ السُكان. استمر الوضع لنصف دقيقة ثم توقف فجأة. قام الجميع من مخبأهم، والتقطت سهير هاتفها المحمول. لم يكن المقذوف حجارة ضخمة، بل حصى من حصى الشارع يتراوح حجمه بين حبة الفول والليمونة الكبيرة. لم يتهشم زجاج واجهة المتجر، لكنه قد خُدش في أكثر من موضع، وتهشمت النوافذ القليلة التي لم تكن مُغلقة بالخصاص.

بدأ الناس يُطلون بحذر من الشرفات والنوافذ، ولاحظت سهير أثناء ابتعادها بسيارتها أن السيل الحجري لم يُصِب إلا منازل بعينها؛ منازل ريا وسكينة.

*****

-٣-

لا تعرف سهير كيف مرّ ما تبقى من الليلة، فقد ظلت جالسة على فراشها تُحدق إلى بنطالها المُلطخ بالطين وجوربيها المُبتلين. لم تتصل بأسامة، فهذا كفيل بدفعه إلى القدوم إليها فورًا ثم منعها نهائيًا من أي تحقيقات

مشابهة.

ظلت تنظر إلى هاتفها المحمول وقائمة الاتصال به. أغلب الأرقام عليه هي أرقام زبائن ستوديو التصوير، فيما عدا ذلك فليس هناك إلا أرقام ابنيها وأسامة ورجاء ومهاب وحسن و.. لاشين.

رددت لنفسها: سهير، أنت تقحمين نفسك في كل هذه المشاكل كي لا تحتاجي إلى لاشين مرة أخرى. تذكري أنك ومهاب تشقّان طريقكما وحدكما وتتعلمان بالطريقة الصعبة؛ الصواب والخطأ. لا تُعيدي هذا الشيطان إلى حياتك مرة أخرى.

أعرف -أنا لاشين- أنها كانت تُفكر في هذا، وحين عرفت، ابتسمت. لم تكن ابتسامة مستهزئة أو ساخرة أو ماكرة.. فقط ابتسامة كتلك التي كنت أبتسمها قبل وفاة والدي.

فكّرت أن أتصل بها، لكنني تراجعت. يجب أن أطمئن إلى أنها قوية كفاية بدوني، فأنا لست درع الأمان الأمثل لها.

في هذا، لا أختلف وأسامة كثيرًا، سهير هي طفلتنا الصغيرة التي تحتاج إلى حماية أبوية دائمة، لكن أسامة من نوعية الآباء الذين يمنعون أبنائهم من ركوب الدراجات من الأساس، بينما أنا أدعم الدراجة بعجلتين إضافيتين، وأترك صغيرتي تذهب حيثما تشاء، تُدمي رُكبتيها، تعود لي دومًا لأنها تعلم أنني لن ألومها أو أمنعها من اللعب.

سهير جرئية ولا تهتم إن تألمت أو غامرت حتى بحياتها، لكن رغم قوتها ظلت عبارة المرأة الشبح تتردد في ذهنها، تكاد تُدمي أذنيها وتزعزع عزيمتها.

أخفت وجهها بين كفيها وراحت تبكي.

***

ظل حسن واقفًا في شرفة حجرته في الفندق حتى الساعة الثالثة. مهاب

ينام ووجهه نحو الحائط، الغرفة مُظلمة لا يضيئها سوى أنوار الشوارع.

من هي الفتاة التي قابلها؟ ما علاقتها بالرجلين ولربما كانت معهم وهم يراقبونهم.

لماذا يراقبهم الرجلان؟! محمود هو من طلب تدخلهم، وحتى الوقت الذي رآهما في أمام الفندق لم يكن تدخلهم ذا قيمة ولا يُشكل أي خطورة.

هل تلك القضية فخ استدرجهم إليه محمود؟ لأي غرض؟ ألهذا علاقة بلاشين أو بالبرنامج أو بعالم الظلمات؟

نسائم الليل الباردة تُذكره بالليالي التي كان يقضيها مع عمرو، يقرآن روايات الرعب ويستمتعان بالأمان داخل المنزل.

ولم تعد البيوت آمنة!

شيطان الرعب لا زال طليقًا، فهل له يد فيما يحدث؟ استدار ليفتح باب الشرفة كي يدخل، فلمح ظلًا خلف سيارة سهير الواقفة عند الرصيف المُقابل للفندق كلا، ليس خلفها، بل في داخلها ثمة شخص في السيارة يتحرك بعنف فتهتز كأنها ممسوسة

لتحميل المزيد من الكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات .

***

نزل حسن ومهاب وسهير -التي كانت بملابسها المُبتلة المُلطخة بالطين- وسارا بحذر نحو السيارة. أضاء مهاب كشاف هاتفه المحمول وراح ينظر من خلف النافذة إلى الأريكة الخلفية حيث رأى حسن المُتسلل فلم يجد أحدًا.

قالت سهير وهي تضم طرفي الشال حول صدرها:

- افتح السيارة يا مهاب، لكن خُذ حذرك. سأصوِّر..

فتح مهاب باب السيارة وانحنى يفحص كل رُكن فيها، بينما سهير تدور حول السيارة تصورها من كافة الجوانب. صاح حسن:

- انظرا عند المنعطف! الفتاة ابنة القاتل!

صوبت سهير كاميرتها نحو الفتاة تلقائيًا، فكما قلت لكم صارت الكاميرا عضوًا من أعضاء سهير. رأى الثلاثة الفتاة تغطي فمها وتضحك، تُلقي حجرًا نحوهم ثم تُطلق ساقيها للريح. انطلق حسن خلفها، يشق صوته المُراهق الخشن سكون الفجر:

- انتظري.. لا تخافي..

ظل مهاب ينقل نظره بين سهير وحسن، غير قادر على اتخاذ قرار، ثم أخيرًا هتف:

- اركبي.

انطلق مهاب بالسيارة في الاتجاه الذي انطلق نحوه حسن خلف الفتاة. الشوارع مُبتلة خالية كأنما يخترقون بُعدًا آخر يسكنه الظلام.

- اتصلي به يا أستاذة. أعتقد أن هاتفه كان معه.

انطلقت «كول تون» أغنية بالبُنط العريض من سماعة هاتف سهير. أبدت امتعاضًا صامتًا ثم قالت:

- لا يُرد..

ضرب مهاب المقود بقبضته وقال بصوت خفيض:

- كان لدي حق.. ما كان علينا أن نسمح له بالمجيء معنا.

أوقف السيارة فجأة، ونظر عبر النافذة مُخفيًا اختلاج عضلات وجهه عن سهير. هل سيفقد حسن هو الآخر؟ هل هو حقًا قادر على حماية سهير نفسها؟ هل سيعود يومًا لأسامة الصاوي حاملًا إليه كاميرتها مُعزيًا؟ هذا هو ما تبقى منها يا دكتور. كان من الأفضل لو وثقت في لاشين..

- مهاب.. سنجده، أنا أعرف أننا سنجده. لن يضل الطريق، لا تقلق.

- لقد ذهب مع ابنة القاتل، هذا مستوى آخر لا نستطيع الوقوف أمامه. لو لم يقتله هذا السفاح للوى ذراعنا به. يبدو أن هناك من لا يريد لنا التدخل في هذه القضية.

مدت سهير يدها بالكاميرا نحو مهاب تُريه لقطة من الفيديو وهي تقول:

-هذه الطفلة ليست بشرية يا مهاب.. أو لنقل أنها بشرية، لكنها ليست حية.

***

فكر مهاب أن تعود سهير إلى الفندق ويذهب هو للبحث عن حسن في منطقة الجرائم، حيث رأى الشاب الطفلة أول مرة، لكن للجرائم طابع ما ورائي يحتاج لوجود سهير وكاميرتها اقترحت سهير أن تذهب هي بينما يعود مهاب للفندق كي يطمئنها أن عاد حسن، لكنه رفض الفكرة كُلية، لن يتركها في مكان كهذا وحدها ليلًا ومع مجرم طليق وأشباح تقذف الحجارة.

لم يجدا بُدًا من ترك رسالة لحسن في استقبال الفندق مع مفتاح الغرفة كي يستطيع أن يستعيد هاتفه ويتصل بهم حين يعود، ثم انطلقا إلى شارع علي بك الكبير.

بدأت الأمطار الخفيفة في الهطول مرة أخرى، المساحات تُلطخ الرؤية أمامهما، من وقت لآخر يُخرج مهاب رأسه من النافذة وينظر حوله، يتفحص مداخل المنازل والطرقات. أوقف مهاب السيارة عند مكانها الذي كانت فيه منذ أقل من ساعتين، وترجّل هو وسهير ينظران حولهما. المكان صامت مُظلم كالقبر.

- من أين سنبدأ البحث يا مهاب؟

- لنذهب إلى الصيدلية.

سارا مُستظلين بالبيوت تارة، وسَترة مهاب التي فردها فوقهما تارة، حتى وصلا الصيدلية التي كانت مُضاءة مُغلقة الباب. بالداخل رأيا محمود يتحدث في غضب إلى هلال، الذي كان يُلوّح بيديه في عصبية، وثمة شاب ثالث يضع كفه على كتف العجوز مُحاولًا تهدئته.

اقترب مهاب وسهير أكثر، يسيران ملاصقين للحائط كي لا يراهما من بالداخل.

جاء صوت هلال مبحوحًا عصبيًا:

- ليحرقهن الله بجاز يا أخي. ما سار أحد خلف امرأة إلا ووقع في شر أعماله.

قال الشاب الذي لا يعرفانه:

- منار بريئة من كل هذا يا حاج هلال. أنا حذرته من الحدأتين الأخريين.

ركل محمود سلة مهملات بلاستيكية وهتف:

- فليذهبن جميعًا إلى جهنم، ما يهمني الآن هو كيف مات عزيز ولماذا؟ صدفة؟ هه؟ لو فرضنا أنها صُدفة، فما تفسير الأحجار والشبح الذي صورته سهير زاهر؟

غمغم هلال:

- النجاسة هي ما تأتي بالشياطين يا محمود. النجاسة.. لعلمك، لو سألتني الشرطة سأخبرهم بكل شيء. انتظرت كثيرًا أن تكفوا عما تفعلونه، لكن يبدو أن غضب الله سيحل على الكل.

ضحك محمود ضحكة مجنونة وقال:

- أخبرهم يا عم هلال، أخبرهم بكل شيء وسأخبرهم أنا أيضًا. شيخ مثلك لن يتحمل السجن.

سادت لحظات من الصمت، قطعها في النهاية صوت الشاب الثالث:

- حاج هلال.. اهدأ..

لم يزد العجوز، وسمع مهاب وسهير صوت خطواته البطيئة الثقيلة تقترب من باب الصيدلية تراجعا إلى الخلف وألصقا ظهريهما بالحائط سار الرجل خارجًا بخطوات بطيئة كئيبة سمعا صوت محمود يهتف في حنق:

- «غور» يا سليمان الآن لا اريد ان ارى احدا

- منار ليس لها ذنب يا محمود..

- سأتصل بهما وأرى ما سنفعل، هذا بالطبع لو لم تتملصا من كل شيء. هيا، ارحل الآن.

خرج سليمان مُتهدل الكتفين. غطى رأسه بالكوفية ودس يديه في جيبي سُترته الجلدية وسار عائدًا إلى حيث يسكن؛ منزل محمود الحسيني.

همس مهاب:

- ماذا سنفعل؟

- يبدو أن القاتل ليس شخصًا واحدًا، أو على الأقل ثمة عصابة بها عدد من النساء.

- هلال مُتورط معهم.. لهذا كان مُصرًا على أن يأخذ كاميرتي. لكن ماذا يظنني قد صورت ويخشى أن يفضح أمرهم؟ شبح المرأة؟

- نحن هنا من فترة، ووارد أن تلتقط كاميرتك أيه تفاصيل يخشون افتضاحها.

- لو أن لدينا وقتًا فقط.. اسمع، سأراجع الصور على الكاميرا وما صوَّره حسن في حمام الورشة وما صورته أنا أثناء هطول الحجارة، وأنت ابحث عن حسن.

- لا.. لا يمكن أن تجلسي في السيارة وحدك

- ولا يمكن أن نُضيع وقت البحث في فحص الصور. تجوالنا بالسيارة سويًا سيلفت النظر وسيضيع علينا التفاصيل، لكنه أكثر آمانًا من السير وحدك في هذا الظلام.. غدنا للبداية مرة أخرى..

- حسن أولا.. هيا بنا..

***

بعد أربعة دورات حول مُربع الجرائم، صدح صوت قرآن الفجر، وسطعت الأنوار من خلف بعض النوافذ كما تسطع النجوم تدريجيًا في بداية المساء.

ركبت سهير السيارة ووقف مهاب جوار باب‌السائق ينظر إلى الشارع مُتجهمًا. ضوء الصور التي تُعرض على الشاشة الكاميرا تحته يُدمع عيناه.

- مهاب.. انظر..

انحنى مهاب ينظر إلى شاشة هاتف سهير. كانت‌تعرض التسجيل التي صوَّرته أثناء انهمار الأحجار.

- ظاهرة أمطار الحجارة ظاهرة ما ورائية معروفة مُرتبطة بالاستحواذ الشيطاني على منزل معين. بعض علماء الباراسيكولوجي يُعزون هذه الظاهرة إلى قدرة تحريك عن بُعد، لكن من أي تأتي الحجارة؟ وما القوة النفسية القادرة على نقلها من مكانها ورفعها إلى السماء لتنهمر بهذه الطريقة؟

- تعنين أن هناك استحواذًا شيطانيا على المنطقة؟

- ظننت هذا ونحن تحت الهجوم، لكن لا أعرف كيف لم أدرك إلا الآن أن الأحجار لم تكن تسقط من أعلى، بل تُقذف من الأسفل، كأنَّ شخصًا يقف في الشارع يُلقيها نحو أهداف مُعينة.

- هذا غريب حقًا. لكن الشارع كان خاويًا..

- ماذا لو شبح الفتاة هو من فعلها؟ الأشباح لديها طاقة عظيمة تُمكنها

من التجسُّد أحيانًا بل ومن نقل بعض الأجسام الثقيلة أو تحريكها.

- لكن، كيف عرفتِ أن الفتاة شبح؟ وكيف رأيتها أنا وحسن دون كاميرا؟

أمسكت سهير بكاميرتها لتُري مهاب تفاصيل صور الفتاة، وقالت:

- ألا ترى فيها شيئًا غريبًا؟

- لا أعرف..

- أنظر، الفتاة بلا ساقين. جلبابها يذوب في الظلام تحتها. على عكس المرأة التي كانت تبحث عن ابنتها..

- لا أفهم.. كلاهما شبح، فما الفارق؟!

تنهّدت سهير وهي تسترجع ما قرأته عن الأشباح أثناء فترة إذاعة حلقات بعد منتصف الليل، وقالت:

- هذه معلومات أساسية لمن يريد العمل في مجال تقصي الظواهر الماورائية. ثمة نوعان من الأشباح؛ الوعي الذكي المتبقي بعد الموت، والأشباح الصاخبة.

راحت صغيرتي سهير تُفسر بمهارة الفرق بين النوعين. كنت أسمعها فخورًا، ترتسم على شفتي تلك الابتسامة التي راحت تعود لي من وقت لآخر بعد هجر سنوات.

- يقول علماء الباراسيكولوجي أن ثمة وعيًا ما يتبقى بعد موت الإنسان، هذا الوعي ربما يزول بعد لحظات، وربما يظل قرونًا هذا الوعي هو ما نسميه الأشباح، والأشباح ليست روح المتوفى، بل كما أخبرتك مجرد وعي غامض يظل في عالمنا لفترة، لا يعرف ما يحدث بعد الموت في العالم الآخر، لكنه لا يُدرك كذلك أنه مجرد وعي وليس شخص حقيقي .

- الأمر عسير على الفهم.

- النظرية مبنية على مشاهدات عديدة تفوق الحصر. ثمة بارجة حربية

في الولايات المتحدة، تعج بوعي الجنود الذين ماتوا فيها أثناء الحرب العالمية الثانية. الأغراض داخلها تغير مكانها، السلاسل تختفي من مكان وتتجسد في مكان آخر.

الوسطاء الروحانيين استطاعوا معرفة تفاصيل كثيرة عن المعارك التي مرت بالجنود من خلال هذا الوعي. يمكن أن نعتبره مُذكرات تفاعلية تتخلف بعد موت الجسد.

تقصد سهير بالطبع البارجة الحربية USS Hornet

سألها مُهاب:

- وهذه المُذكرات قادرة على التجسد؟

- أجل.. تتخذ آخر صورة عقلية لصاحبها. أغمض عينيك يا مهاب وتخيل صورتك.

أغمض مهاب عينيه، ورأى نفسه يرتدي بول أوفر أزرق وقميصًا من تحته، وبنطالًا من الجينز.. تخيل لحيته المُحيطة بفمه، شعره..

- الآن افتح عينيك.. هل رأيت قدميك في مُخيلتك؟

- هه؟ كلا! غريبة!

- الغالبية العُظمى من البشر لا يتخيلون أنفسهم بالكامل، لا يتخيل أحد ما تحت رُكبتيه تحديدًا. الشبح يُسقط صورته الذهنية عن نفسه حين يتجسد، لذلك فالأشباح الذكية أو الوعي المُتبقي بعد الموت يظهر كصورة بلا ساقين.

- ملاحظة غريبة حقًا! كل الرسومات القديمة التي تُصور أشباحًا تُبينها بلا ساقين!

- وهي لوحات مبنية على مشاهدات قديمة مستمرة لما يعتبره الناس روحًا. حين يتجسد الشبح، يمكن للغالبية أن يروه، لكنه لا يظهر على

شاشات الكاميرا، فهو ليس ماديًا ينعكس عليه الضوء.

- لكنك صورتِ الفتاة بموهبتك في تصوير الكيانات الخفية؟

- هذا صحيح كذلك الفتاة تتفاعل معنا وترانا، على عكس السيدة التي تسأل عن ابنتها هذه ظاهرة شبح صاخب أو غضب مُسجّل صورة غير واعية مُسجلة على البيئة المحيطة ببعض الحوادث، صورة كأنها مشهد من فيلم يتكرر بلا توقف ربما يراها البعض بأعينهم مثلما يرى بعض الناس مشهد إعدام آن بولين في إنجلترا في نفس الوقت من كل عام، ومثلما يسمع سكان الزمالك صوت طلقات النار وصوت المصعد في شقة الفنانة ذكرى رحمها الله أعتقد أن هذه السيدة والدة إحدى المُختفيات أيام جرائم ريا وسكينة.

عقد مهاب حاجبيه وقد رأى أمامه مشهدًا من المسلسل الشهير، الفنانة ليلى جمال في دور والدة الضحية نظلة أبو الليل تدور في الحارات تسأل عن ابنتها.

كلب نظلة.. كلب نزلة..

ما معنى تلك العبارتين المحفورتين على الكلبين؟!

ما علاقتهما بنظلة أو بما يحدث الآن سأل مهاب سهير بعد أن أخبرها بما خطر بباله: - هل تظنين أن أحدهم قد حضّر روحي ريا وسكينة مثلًا فبدأتا القتل مرة أخرى؟ يمكن أن يكون محمود هذا أو النساء الذي تحدث عنهن .

- أتعني أن القاتل شبح؟ لم أسمع وقائع مُحددة كان القاتل فيها شبحًا، من يقتلهم الأشباح يموتون بطرق بسيطة، مثل التعثر على الدرجات، الغرق أثناء السباحة..

- سقوط عِرق خشب على رؤوسهم؟

نزلت سهير من السيارة ووقفت على الرصيف أمام مهاب كي تُقلل فرق

الطول بينهما وقالت في حماس:

- لدينا نوعان من الجرائم، جرائم قتل لسيدا ونقل جثثهن كاملة أو مُقطعة إلى هنا، لم يصل إلى الشرطة منهم إلا صور وبعض الأشلاء. العامل المشترك بينهن أنهن من طبقة اجتماعية واحدة تقريبًا.

- والأشلاء تخص سيدات أجروا عمليات تجميلية ووشومًا من قبل.

- أما نوع الجرائم الثاني فلم يتكرر؛ مصرع عزيز، وهو الرجل الوحيد الذي توفي.

أما نوع الجرائم الثاني فلم يتكرر؛ مصرع عزيز، وهو الرجل الوحيد الذي توفي.

اتسعت عينا سهير من خلف عويناتها العملاقة المُستديرة وسألت :

- هل معك رقم هاتف والدة محمود؟ هذه السيدة تعرف شيئًا..

- ليس معي رقمها. لكن من الآن فصاعدًا لا أريدك أن تقابلي أي شخص هنا وحدك حتى نفهم من متورط في أي شيء.

- تُرى من هي الطفلة التي ذهب حسن وراء شبحها؟

تذكر انك حملت تلك الرواية من موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة .

تفاصيل المُسلسل الشهير ملأت عقل مهاب بالصور والأصوات.. رمضان ٢٠٠٥، عمرو كان بعد رضيعًا، يحمله بينما تُحضِّر أمه الإفطار. والده يُقطع خُضر السلاطة أمام شاشة التلفاز. الالتفاف حول الشاشة بعد صلاة التراويح ومشاهدة المسلسلات. نظرة عبلة كامل الشرسة المُخيفة لابنتها الصغيرة. غمغم:

- لو أن والدها هو من يقتل الضحايا، ولو أنها تحلف بسيدي عماد كما أخبرنا حسن، فهي قطعًا بديعة ابنة حسب الله وريًا..

الهواء البارد يُمزق رئتي حسن وهو يجري خلف الطفلة التي تبعد عنه مسافة عشرة أمتار ثابتة لا يستطيع اجتيازها. حين كان يتوقف ليلتقط أنفاسه، كانت تتوقف وتنظر نحوه، ثم تقذفه بحجر وتهرب، فيعدو خلفها مُجددًا في الأزقة الضيقة الخاوية.

بنطاله الذي تشرَّب ماء المطر يجذب قدميه إلى الأسفل وقد ثقُل وزنه. شعره يلتصق على جبينه ويذوب مع حاجبيه. كل شهقة هواء يدخل معها ماء المطر، فيسعل..

تستحيل الشوارع إلى حاراتٍ ثم إلى أزِقة. يلمح لافتة مألوفة إلى جواره؛ مقهى ريا وسكينة.

لا زالت الفتاة تعدو، لكن خطواتها صارت أبطأ. تقف عند أرض بها منزل مُتهدِم، تصعد فوق الهدم بخفة، ويلاحظ حسن لأول مرة أنها بلا ساقين. يرتجف قلبه بين ضلوعه، يمد يده إلى جيبي سرواله فلا يجد هاتفه المحمول. يتلفت حوله فلا يرى مخلوقًا. الفتاة شعثاء الشعر تلتفت وتنظر نحوه، تكور قبضتها ثم تقربها من فمها وترفع رأسها كأنها تشرب من زجاجة.

صعد حسن تل الأحجار والردم وهو يكاد لا يرى موطئ قدميه. تعثر مرتين، ثم أخيرًا وصل إلى حيث تقف الفتاة.

- من أنت؟!

- تعال.. لو كنت جئت مُبكرًا لأكلت معي سردينًا. أمي أعطتني قطعة في رغيف دون أن يعرف أبي. أنا عطشى الآن وهم لا يريدون فتح باب الحجرة لي.

غمزت له وأضافت:

- لكنني أعرف كيف أصل إلى القُلّة..

نزلت على ركبتيها ثم قفزت، فاختفت في ممر لا يتعدى عرضه المتر. قفز حسن وراءها، فوجد نفسه في مكان عفن الرائحة رطب، كان له مدخل ما لكنه تهدَّم، وعلى يساره فتحة صغيرة مُغطاة بقطعة ورق مقوى تكاد تتحلل. عبرت الفتاة خلال الفتحة، فأزال حسن قطعة الورق التي ذابت بين يديه، ونظر عبرها. كانت الطفلة تقف أمام نافذة مواربة، تمد يدها من بين خصاصها وتُخرج قُلة فتجرع منها مُبعدة فوهتها عن فمها، ثم تمد يدها لتُعيدها إلى الصحفة، لكنها تتسمر مكانها. يعبر حسن الفتحة الضيقة بصعوبة شديدة، ويقف خلفها ينظر إلى ما تنظر إليه.

كان محمود يقف في حجرة مُظلمة، تُضيء وجهه شاشة هاتفه المحمول الذي يُرسل من خلاله رسالة صوتية.

- عزيز مات، أنا لا أمزح في هذه الأمور الشرطة شمَّعت مدخل حمام الورشة بالشمع الأحمر وسيرسلون لجنة هندسية لمعاينة المكان وما إذا كان خطرًا على السكان أرسلي لي رجلين أو ثلاثة وسيارة وإلا سأكون أول من يُرشد عن الجثث ، امين .

أنزل محمود هاتفه وراح ينقل ساقيه في عصبية. كانت الحجرة خالية مُقبضة، وتوصل حسن بحسبة بسيطة أنها على الأرجح إحدى حجرات منزل حارة النجاة. بعد دقيقة، تلقى محمود رسالة صوتية، فتحها فصدح صوت نسائي مُتعالٍ:

- من أنت؟ وأي جثث؟ ومن عزيز؟ كفى تهريجًا.

حدق محمود إلى الشاشة مُندهشًا، وأطلق سُبة، ثم أضاء كشافًا أخرجه من جيبه وسلّطه نحو النافذة التي يقف خلفها حسن. اندفع محمود يفتح الخصاص، فتراجع حسن محاولًا حشر جسده مرة أخرى في الفجوة، عبر أغلب جسده، لكنه شعر بقبضتين تُمسكان بساقيه. ركل وتمسّك بحواف الفتحة كي لا يجذبه محمود. صرخ إذ ضربه ألم حاد في ساقه، طعنة.

- اترك الذي تتمسك به يا ابن الكلب وإلا فتحت بطنك.

شعر حسن بنصل المطواة يمس بطنه، وقبضة محمود تعتصر ساقه المُصابة، فتخلت قبضتاه عن حواف الفتحة، وترك جسده ينزلق إلى الأرض. ركله محمود في بطنه وهو يمسح ما تحت انفه بكُمه ويقول:

- قُم.. لن أحمل جحشًا مثلك.. هيا.. سِر أمامي..

***

ما لفت نظر سهير ومهاب أن المغسلة كانت مُضاءة، لا بد أن هلال عاد لسبب ما إلى متجره وغير مسار ليلته على ضوء المتجر لمح مهاب سيارة بيجو عتيقة تأتي من غمق الشارع وتقف أمام المنزل الذي يسكنه محمود قرّبت سهير الصورة خلال عدسة كاميرتها واختبأت هي ومهاب خلف بروز أحد المداخل. تمنّت ألا يرى الرجلان سيارتها. بعد لحظات، نزل سليمان من منزله ووقف يتحدث إلى الرجلين.

أخرج أحدهما منديلًا محلّاويًا فرده على إطار نافذة السيارة، ثم وضع خلفه على المقعد شمعة طويلة.

وضع يده على رأس سليمان وراح يُتمتم بينما الأخير ينظر إلى المنديل ويحدق فيه كأنه شاشة سينما.

- ماذا يفعل يا أستاذة سهير؟

- يفتح المَندل. رأيت هذا الطقس مِرارًا عند الدجالين في الموالد.

- مَندل؟

- يستعين فاتح المندل بالجن الذي بينه وبينهم عهد، وعادة ما يكون واحد من ملوك الجن السبعة حسب التفسير المُنتشر لهذا الطقس، فإن لكل يوم من أيام الأسبوع ملكًا من الجن يعرف ما دار فيه بالتفصيل، وإن أراد فاتح المندل معرفة حدث معين، استدعى الجن المُختص بهذا اليوم.

- وهل هذا صحيح؟

- لا أعرف يا مهاب. هذا ما كنت أسمعه وأنا طفلة، وما سمعته من الناس

في الموالد.

- إن كان هناك جن الآن، فهل سيظهر في كاميرتك؟

كان ما ظهر في الصورة إجابة كافية لسؤال مهاب من مكان ما ظهر تجسُّد يشبه هيئة الكلب لكنه في حجم حصان وقف وراء الرجل صاحب المنديل، بينما يتحدث سليمان عما ينظر إليه ويرتجف .

- من هذان الرجلن وما دورهما فيما يحدث؟!

قاطع المشهد المهيب انفجار الماء من المغسلة. انكسر الباب الزجاجي من ضغط الماء، والتفت الرجلان وسليمان إلى مصدر الضوضاء. صرخ سليمان وهو يرى جسد هلال يخرج مع الماء ويتدحرج مُمدَّدًا أسفل الرصيف. هرع إليه الرجال يحملونه بعيدًا عن اندفاع الماء. أضاءت بعض الشرفات وانفتحت النوافذ. هرع الرجال بملابس نومهم يتحلّقون حول العجوز. قال مهاب:

- أعتقد أننا لو تدخلنا الآن سنكون في مأمن من الغدر. الوقت يمضي ولا نعرف أين حسن، ولا فكرة لدينا عما يحدث. هيا..

وضعت سهير كاميرتها الرقمية في حقيبتها، وأمسكت هاتفها المحمول في يدها استعدادًا لتصوير أي طارئ دون أن يشعر أحد صاح مهاب: - ماذا يحدث يا رجال؟

ردَّ أحد الواقفين:

- أنتما الصحفيان؟ ألا زلتما هنا؟

- أجل .. ماذا يحدث ؟

- علمنا علمك. يبدو أن ماسورة الماء في المغسلة انفجرت وقتلته. لا حول ولا قوة إلا بالله.

اصطدمت حصاة صغيرة بذراع سهير، التفتت إلى مصدرها فرأت بديعة

الصغيرة تقف جوار الماء المُندفع، تضحك وتدور تحت الماء كأنما تلعب.

أمسكت سهير بكُم بول أوفر مُهاب تجذبه وتلفت نظره إلى ما يحدث. سارا نحو المغسلة بحذر.

المياه تدفع محتويات المغسلة خارجًا، البطانيات المغسولة في أكياسها تتكوم عند قدمي مهاب، يلمح الفواتير بداخلها والتي تحمل أسماء أصحابها والمبالغ المطلوبة منهم..

سمع مهاب صوت خطوات خلفه، فوجد سليمان يحدق إلى ما يحدقان إليه، ثم يرفع عينيه إلى الطفلة التي تلهو تحت الماء..

- أنتِ.. يا.. تبنة مَن أنتي؟

- «بِت» ريا..

وأخرجت الطفلة لسانها له وانطلقت تعدو. اتسعت عينا سليمان دهشة، وقبل أن يتراجع أمسك مهاب بكتفه وسأله برفق:

- أستاذ سليمان. نحن هنا كي نساعدكم لا صلة لنا بالشرطة ولا أي جهة تُقلقك إن كنت تعرف شيئًا فقد آن الأوان كي تحكي وتنجو بنفسك وبمن تُحب

أضافت سهير:

- أنت تعرف من نحن يا أستاذ سليمان ؟

- أجل.. أنتما من برنامج بعد منتصف الليل، وأنت مؤلفة كتاب أشباح الموالد.. ذلك الذي يحوي صور الجن. يقول محمود أنك تستطيعين تصوير الجن والعفاريت.

- أجل.. هذا صحيح. الفتاة التي رأيتها شبح بديعةحسب الله، ابنة ريًا ثمة شبح آخر في المنطقة، زينب والدة نظلة أبو الليل لو أن عم هلال تورَّط فيما يحدث، فيكون هو ثاني من يُقتل اليوم بعد عزيز من سيكون التالي يا أستاذ سليمان؟ أنت ركَّبت الكاميرات بحيث تُخفي الجرائم ،

أليس كذلك ؟

انحنى سليمان ممسكًا بِرُكبتيه وراح يرتجف ويغمغم:

- فوضت فيك الأمر له يا محمود.. رحمك الله يا حاج هلال.. رحمك الله..

تأبط مهاب ذراع سليمان وجذبه برفق نحومنعطف هادئ وقال:

- احكِ لنا يا أستاذ سليمان.. كان معنا شاب وهو الآن مفقود ونحن نبحث عنه. لسنا هنا كي نتلصص عليكم أو نجمع أدلة جنائية. ساعدنا وسنساعدك. أعدك بذلك.

سألته سهير:

- من الرجلان اللذان كنت تقف معهما؟ أعرف أنه كان يفتح «المَندل». دجالان؟

نظر إليها سليمان والعرق يتفصّد من جبينه رغم البرد:

- أحدهما رفاعي والآخر عرّاف، يقرأ الودع ويَفتح المَندل.. من الأقصر..

- قبل أن أنسى يا أستاذ سليمان، هل يعمل أحد مع عم هلال في المغسلة؟

- بالطبع. هناك أكثر من شاب للكواء والغسيل وتوصيل البضائع، لكنه هو من يدير المكان ويمكث فيه وحده في فترة المساء. توفيت زوجته منذ أربعة أعوام ولم يعُد يطيق المكوث وحيدًا في بيته. يعود إليه للنوم فقط.

- هل كان مُتعلمًا؟

- يقرأ ويكتب بصعوبة، لكنه بارع في العدّ والحسابات الشفهية. لماذا تسألين؟

أشار مهاب إلى الفواتير تحت أكياس الأغطية وسأل:

- هل هذا خطه؟

- هو من يكتب الفواتير، لا داعي لأن أراها. مرة أخرى، لماذا تسألان؟

نظر مهاب إلى سهير نظرة فهمٍ، ثم قال الأول:

- هل يمكنك أن توصلنا لوالدة محمود دون أن يعرف هو أننا نتواصل معها؟

- لماذا؟ ماذا يحدث؟

- نريدكما أن تحكيا لنا كل شيء، وأعتقد أننا سنصل إلى حلٍ اليوم، وسنجد حسن.

***

حكى لهما سليمان كل ما يعرف خوفًا على نفسه وعلى خطيبته منار، لكن من رأى ليس كمن سمِع، وأنا رأيت وسمعت..

دعوني أحكِ لكم بطريقتي..

*****

-٥-

سبتمبر ٢٠٢٠ سموحة -الإسكندرية

رِهام طبيبة تجميل، هذا ما تقول شهاداتها. لا يمكنني أن أرى ملامح رِهام الحقيقية من خلف شفتيها المحقونتين بالـ«فيلَر» وحاجبيها المرفوعين الموشومين وتعبيرات وجهها الميتة جراء حقنها المُستمر بالـ«بوتوكس» الذي هو ببساطة سُم يشل العضلات فيرخي التجاعيد التعبيرية.

رِهام عمرها سبعة وثلاثين عامًا، تزوجت مرتين من رجلين يكبرانها عمرًا، توفيا وتركا لها ما استطاعت أن تأخذه منهما أثناء حياتهما لا أكثر كان لكل منهما عائلة وقفت لها وحالت بينها وبين ميراثها منها خافت أن يكشفوا

التحايل الذي حصلت به على الأموال من قبل، فسكتت، وافتتحت لنفسها مركزًا للتجميل والوشوم في منطقة راقية من سموحة.

لم تكن هذه هي مشكلة رِهام الأساسية، بل كانت الخمور. إن كان الـ«فيلر» و«البوتوكس» يغطيان ملامحها القديمة التي تشي بأصلها البسيط، فالخمور تغطي روحها وتمحو آثامها، تُخفي عنها نظرات زوجيها السابقين المغدورَين.

في مركز التجميل غرفتان مخصصتان لها، واحدة لصديقاتها من النادي والحفلات الليلة وواحدة لمزاجها المُنحرف الذي ظل يتوق إلى جلسات الفتيات البسيطات الجريئات وحكاياتهن وأحيانًا فجورهن.

***

لرِهام مساعدتان، منار الفتاة الطويلة العابسة دومًا، والتي تتعامل مع الجميع كآلة، وكانت وظيفتها هي مساعدتها كممرضة أثناء الإجراءات التجميلية هي خطيبة سليمان المتحفظة التي لا تُمانع في العمل وسط أي بيئة كانت، لكنهما كذلك قادرة على أن تحيط نفسها بسياج من التحفظ والاستقامة يُجبروا الجميع على احترامها. كانت قد اتفقت مع سليمان على أن تستمر في العمل في المركز الطبي حتى يجمعا المال اللازم لإتمام زواجهما، ثم بعد الزواج ستبدأ في البحث عن مكانٍ أفضل. بسبب الفيرس الذي اجتاح العالم، عجزت منار أن ترك عملها واضطرت إلى التقوقع أكثر في عالمها الخاص وابتلاع كل ما يريبها في صمت.

أما المُساعدة الثانية هالة الجميلة ذات الجسد المُبهر فمكانها الاستقبال. ملامحها فاتنة ويمكنها أن تُمثل ببراعة دور الفتاة الأرستقراطية في استقبال العيادة الفاخر. كانت لها سُلطان على النساء كما لها على الرجال، ولها الفضل في استدراج أغلب الرجال الذين قبلوا الخضوع لعمليات تجميلية أو وشوم تحت تأثير إقناعها فقط.

هالة ومنار من حي بسيط، حي اللبان. هما جارتان تجمعهما ذكريات

المدرسة الإعدادية والثانوية، ويفصلهما المآل الذي آلت إليه كلًا منهما.

وكما تأتي هالة لرِهام بالزبائن، كانت تأتيها بالعُشاق الذين لا يهمهم سوى المال. العُشاق الساديين خشني الطباع فقط.

لم يعد مركز التجميل يعمل كسابق عهده بسبب فيروس الكورونا وتبعاته، وقد أرجأ الناس أي إجراءات طبية غير ضرورية خوفًا من العدوى. المال يقل، وخطر غلق المركز يحوم فوق رأسها.

لتحميل المزيد من الكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات .

كانت هالة تُقابل عزيز في حمام الورشة ليلًا، وبعد أن يختليا ببعضهما، يجلسان في المكان الرطب العفن يحتسيان البيرة ويدخنان الحشيش. فكرة أن يفعلا هذه الأفعال الشائنة في مكان دُفنت فيها عاهرات منذ مائة عام تُثيرها، ويثيرها سلوك الطرقات السرية بين المباني وبعضها، والتي بدأت في الظهور بعد أن حفرت الشرطة لمسافة أكثر من متر ونصف تحت منزل رقم ٣٨ لإخراج كل ضحايا ريا وسكينة. بسبب زُهد الناس في سكن العقارات التي كان تشغلها مواخير المرآتين، ظلت تلك الأماكن ملتقى للعشاق ومُعاقري الخمور والمخدرات، يتسللون إليها من مكان ويخرجون من آخر في حالة مداهمة الشرطة أو السكان الشرفاء للمكان.

جلست هالة مُرتكنة إلى الحائط، وفوقها الحوض المُتسخ بالشحوم. أفرغت ما تبقى من زجاجة البيرة الرخيصة في حلقها وقالت لعزيز:

- ما رأيك أن تأتي معي لرِهام. نحن أولى بالمال الذي تدفعه لعشاقها.

ابتسم عزيز لكنه أخفى ابتسامته وحماسة ورفع حاجبيه مُتسائلًا:

- أنا؟ ظننت أننا..

- لا تظن شيئًا يا عزيز. أنت تعرف أننا نقضي وقتًا ظريفًا يناسب مزاجينا، وتعرف أنك لست الوحيد في حياتي أنت من تبقّى من مزاجي العَفِن لا

أكثر هل ستأتي أم أبحث عن آخر؟

- سآتي طبعًا. من اجل عينيك ..

- من أجل المال يا عزيز.. اتفقنا على الصراحة. لي مما ستعطيه لك الرُبع.

هكذا، نَمت العلاقة بين الثلاثة، وانتعش حال عزيز ماديًا، لكنه كان يُطيل الغياب خارج المنزل، وتغيَّرت علاقته بامرأته، ففهمت أنه غيَّر عشيقته لا أكثر. ذيل الكلب المُعوَج لا علاج له، وعليها أن تحصل منه على ما يعوِّض قذارته لتُنفق على أطفالها وتغمس مقتها له وسط ابتسامات أطفالها ورضائهم بملابس جديدة أو وجبة مُشبعة.

أما رِهام، فلم تكن تجد مصدر مال لها إلا السرقة. سرقات بسيطة غير ملحوظة تسرقها من صديقاتها أو زبوناتها الدائمين، لكن مع نُدرة اللقاءات بينهم وقِلة خروج الصديقات عمومًا، صارت السرقة مُخاطرة؛ ربما تلاحظ إحداهن أنها لم تذهب إلى للقاء رِهام فمن غيرها قد تكون سرقت من حقيبتها ؟

المُخدرات والكحول يُذِلانها.. انشغل الرجال الأغنياء عنها ونسوها، بينما الرجال الآخرون يطالبون بالمال بعد كساد أغلب أشغالهم ولم يعد في حوزتهم سوى بيع رجولتهم.

في ظُلمة ليلة في بداية أكتوبر، كانت رِهام تتصفح الفيسبوك، ترى صور صديقاتها وزبوناتها وسط عائلاتهم وقد سافر أغلبهم إلى منتجعاتهم وقراهم الساحلية ليقضوا فترات خطر العدوى هناك. كان هناك من يشكين وحدتهن، أولئك اللاتي يعشن وحدهن ولا يعبأ أحد بالسؤال عليهن خاصة وسط أجواء الخوف والعزل والمرض هذه.

أرسلت رسالة إلى مدام كاريمان الخمسينية التي تعيش وحدها بعد انفصالها مؤخرًا بسبب الخيانة.

كانت المرأة قد قررت أن تستعيد بعض من رونق الشباب عن طريق بعض عمليات التجميل، وتعرَّفت إلى رِهام لكنها لم تكن ممن يرتادون جلساتها

السرية.

«- ..ريمو، كيف حالك.. كنت على بالي منذ أيام.

- .. أنت جميلة يا رِهام. أوحشتِني للغاية.

- .. مُري عليّ أي وقت في المركز، أم تُفضلين أن آتي أنا إليك قليلًا؟

- .. الحقيقة أنا لم أعد أستقبل أحدًا في بيتيبسبب العدوى، لكني حقًا مللت. لندع الظروف تُحدد في أي مكان نلتقي..»

كانت رِهام تأمل في سرقة صغيرة، صغيرة للغاية تُعينها بعض الوقت حتى تستعيد قبضتها على أي من عشاقها الأغنياء. أرسلت رسالة إلى أحد عُشاقها الذي انقطعت أخبارهم وهداياهم منذ شهور.

« .. أنا غاضبة منك. هكذا تنسينني؟

.. أهلا رِهام. اعذريني، فالعمل كله يُدار من المنزلالآن، وماريا كذلك تظل تحوم حولي طول الوقت، وكذا الأطفال. سأراسلك حين يكون الوضع أفضل.»

هكذا قررت أن تُجرب حظها وتذهب إلى كاريمان.

* * *

كاريمان سيدة جميلة بالفعل، اختلّت ثقتها بنفسها بعد خيانة زوجها لها، واكتشفت خطأ قرارها بعدم الإنجاب، فلم تحمِها رشاقتها وجمالها من الغدر.

جلست المرأتان بينهما مسافة آمنة، على فخذ كل منهن طبق فيها مُكسرات وحلوى مع كأس من النبيذ. تسامرتا وتحدثتا، ضحكتا، شكت كاريمان لرِهام وبَكَت. كان صبر رِهام ينفد وهي عاجزة عن الانفراد بالصالة أو الوصول إلى حجرة النوم لسرقة أي شيء منها.

ابتسمت ووضعت طبقها على المنضدة وقالت لكاريمان التي كانت تسمح

دموعها برفق:

- هيا نخرج. عدّلي مكياجك ولنتجوّل قليلًا بالسيارة.

استحسنت كاريمان الفكرة وقامت إلى حجرتها. وضعت رِهام مُخدرًا في كأس كاريمان وأفعمته، وحين عادت الأخيرة رفعت رِهام كأسها عاليًا تدعو رفيقتها للشرب وقالت:

- كأس أخير في صحة الأندال!

ضحكت المرأتان وأفرغت كاريمان الكأس في فمها. استأذنها رِهام في استخدام الحمام، وظلت هناك فترة، ثم خرجت لتجد كاريمان غائبة عن الوعي على كرسيها. فتّشت رِهام حجرة النوم ولم تجد مكان المصوغات، أثناء تفتيشها رأت كاميرات المراقبة التي تُطل من الأركان.

سبّت ولعنت. بمن تتصل؟ هل ترحل وتترك كل شيء كما هو؟ لكن ربما رأت إحدى الكاميرات ما دَسته في شراب كاريمان. هل تُحطم الكاميرات؟! أين تُخزن الكاميرات ما تُصوره؟

بمن تتصل؟!

***

وصلت هالة وعزيز على الفور إلى العنوان المطلوب، وقالت لهما رِهام أنهما متورطان معها فقد صورتهم الكاميرات، وعليهم أن يساعدوها في الخلاص من مشكلتها.

قال عزيز:

- لدي صديق فني اليكترونيات.

أضافت هالة:

- سليمان خطيب منار.

سألت رِهام:

- وما مقابل مساعدته لنا؟ هل سيصمُت أم سيفضحنا؟

قال عزيز وهو يُشمر ذراعيه:

- المرأة غنية، والشقة بها ثروة. سأتصل بمحمود وهو من سيقنع سليمان.

هتفت رِهام في عصبية:

-ومن محمود هذا أيضًا؟

- لا تقلقي يا «ست الكُل». لكن لنتفق، سأتحمل مسؤولية كل شيء بشرط..

- شرط؟

- تُقسَم الغنائم علينا بالتساوي. أنت وأنا وهالة ومحمود وسليمان.

- انتظر لحظة، ماذا ستفعل بنا كاريمان حين تفيق؟!

سألت هالة:

- وهل لا بُد أن تفيق؟! أنت قلتِ أن ليس لها أحد يسأل عنها، ورجل الأمن سيتولى الرجال أمره.

الشقة لنا..

أضاف عزيز:

- سنُخفي كل بصماتك، وسيزيل سليمان أي أثر لما سجلته الكاميرات، وسيجعلها تبدو كأنها قد تعطلت منذ فترة.

سألت رِهام:

- وكيف تثق في أن سليمان هذا سيفعل ما تقول؟

- لقد فعلها مِرارًا من قبل. صحيح أنه لم يُغطِ على سرقة أو قتل، لكنني

كنت أتفق معه أن يضبط الكاميرات التي يُركبها بحيث لا تُظهر جانبًا معينًا من الشارع، فيسهُل تغطية توزيع المخدرات والخروج والدخول من المخابئ. محمود طلب منه ذلك مقابل المال، ظل يتملص ويتحدث كثيرًا عن ما يصح وما لا يصح، لكنه في النهاية «على باب الله» ويريد أن يتزوج.

نظرت رِهام نحو كاريمان التي قد بدأت تزوم وتُتمتم. أمسك عزيز بمفرش منضد قطني صغير، وغمسه في إبريق الماء جوار الخمور، ثم دار حول كاريمان وقال:

- لا تحملي همًا.

ثم ضغط بالمنديل على أنفها وفمها. راحت تُحرك قدميها بعنف وقد فتحت عينيها على آخرهما. انطلقت هالة تُثبتها إلى كرسيها وهي تنظر إلى عيني عزيز نظرة مجنونة مُنتشية. كان يعرف أن له مكافئة منها اليوم، أو ربما غدًا.

وضعت رِهام كفها على فمها تُغالب القيء وخرجت من الشقة تلهث وتلطم خديها.

بعد ساعة، جاء سليمان مع محمود. قابلهما رجل الأمن بالأسفل فسأل عن وجهتهما. قال له محمود أنهما صاعدان إلى شقة مدام كاريمان. كان الرجل قد سمح لهالة وعزيز بالصعود بعد أن أجابت رِهام على جهاز «الدكتافون» وطلبت منه أن يصعدا، ورِهام نفسها صديقة كثيرة التردد على كاريمان.

التفت رجل الأمن إلى «الدكتافون» خلفه، وطلب الشقة المطلوبة، فلم يرُد أحد عليه. طوّق محمود رقبة الرجل بذراعه ومنع الدماء من الوصول إلى مخه، فهوى فاقدًا الوعي. صاح في سليمان:

- ادخل أنت إلى الشقة اليُمنى.

- ماذا تفعل؟ ماذا يحدث؟ أنت لم تخبرني سوى أن هناك كاميرات مراقبة

مُعطلة عند ساكنة هنا!

- الكاميرات ليست مُعطلة وقد صوَّرتنا، وأنت متورط معنا.

فكَّر سليمان في أن يهرب ويذهب إلى الشرطة، لكنه كان يعرف أنه متورط مع الشقيين محمود وعزيز في أكثر من مُصيبة، لكن ما يتورط فيه الآن لا يُقارن بأي شيء آخر. دعا الله أن تكون عملية سرقة فقط، فشيء في نفسه كان يهمس إليه أن الأمر أكبر من مجرد سرقة. لقد تورط صديقاه في عملية عشوائية غير مُدبرة، وإلا فلمَ لم يتولوا أمر الكاميرات قبل اقتحام المكان؟

***

خلال ما رأيت من تصرفات البشر طيلة سنين حياتي، خاصة تلك السنين التي «تشيطنت» فيها، استنتجت أن ما يُبنى على حافة هاوية يهوى إلى الدرك الأسفل سريعًا مهما حاولت تثبيته مكانه. يهوي ويكتسب عجلة تسارع رهيبة، يزيد وزنه، وحين يصل إلى القاع، ينثر الحصى والصديد والدماء لتصيب الجميع.

طلبت رِهام من سليمان نسخة من التسجيلات تحتفظ بها قبل أن يمسح كل ما سجلته الكاميرات. وافق عزيز ومحمود وهالة على أن يزيد نصيبهم من الغنائم.

اتفقوا كذلك على أن يتخلصوا من جثة كاريمان وسيارتها بحيث تبدو كأنها خرجت، وجمعت هالة بعض من ملابسها وإكسسوارتها في حقيبتين، ونشقت المنزل كأنها قد سافرت. نزل الرجال بالمصعد الداخلي إلى المرآب ونقلوا إلى السيارة جثتي كريمان والحارس والحقائب، بينما ركبت هالة مع رِهام في سيارتها وعادتا إلى مركز التجميل.

ظل عزيز ومحمود يُدخِّنان سيجارة الحشيش تلو الأخرى، وسليمان مُنكمش في المقعد الخلفي لسيارة كاريمان يرتجف وقد تقيأ ثلاث مرات منذ رأى الجثث.

كان مكان الدفن جاهزًا حسب اقتراح محمود الذيأيّده عزيز. تُدفن الجثتان في أحد الممرات المُتهدمة التي يملكون زِمامها، وتُفكّك السيارة وتباع لدى تُجار السيارات المسروقة.

لن يربط أحد بينهم وبين ما حدث ولو بعد مليونسنة، والتسجيلات مع رِهام تُدينها كما تُدينهم. هي فقط خائفة وتركوا لها ما يُطمئنها مقابل المزيد من المال.

للحظة لم يُصدق سليمان الصورة الكاملة أمامهولم يستوعب أنه كان يعلم بأمر السرقات الصغيرة وتجارة المخدرات السرية في المنطقة. لم يُدرك بشاعة مشاركته الصغيرة الواهية فيها، فقد أدار ظهره لها وتظاهر أنه لا يراها كما تظاهرت كاميراته بالعمى.

الفقر، الجهل، العوز، الوباء، الخوف، الانحراف، اليأس.. كل تلك المشاعر باغتته فجأة، فكره نفسه وشارعه وكل لحظة قضاها منذ ولادته.

بمجرد أن وصلوا الشارع في الواحدة والنصف صباحًا، نزل سليمان وعدا نحو منزله دون كلمة أخرى. صاح محمود:

- خُذ عرقك..

وكان يقصد أنه لم يأخذ أجر ما فعله، لكن سليمان لم يلتفت وصعد الدرجات إلى شقته. لم يرُد على تساؤل أمه عن سبب تأخيره. دخل الحمام الضيق ذا الحوائط الرطبة ووضع رأسه تحت صنبور الماء البارد، ثم ظل يُحك كفيه بالصابون لكن دماء السيدة والرجل البريئين لم تزُل.

***

لم يقتل محمود أحدًا من قبل، لكن عزيز فعلها مِرارًا. كان أقصى ما يفعله محمود هو الشجار بالمطاوي والضرب بالركلات والقبضات. أنهى عزيز حياة رجل الأمن فاقد الوعي بنفس الطريقة النظيفة التي لا تترك أثرًا من دماء؛ كتم الأنفاس.

دفنا الرجل والمرأة تحت تراب حجرة متهدمة كانت تُستخدم كمخزن قديمًا، لكنها ظلت مهجورة منذ عشرات السنين. يقال أنها حجرة سكينة في حارة النجاة، ويقولون غير ذلك، لكن تلك الحجرة كان يعتبرها محمود وكرًا لتعاطي المخدرات وتناول البيرة مع رفاقه، وقد غطى مدخلها المُطل على المنزل المُهدم خلفها، وصار يدخل ويخرج منها من خلاله أو من خلال منزل مجاور آخر.

وكما قلت لكم من قبل، العالم يُرحب بالوحوش والمسوخ ويفرش لهم الطريق بالدماء والجماجم.

بينما انكمش سليمان على نفسه مُعتزلًا كل شيء، انتعشت أحوال عزيز ومحمود حين تحدثت زوجة الأول إلى زوجة الثاني بشأن ريبتها من مصدر الأموال المُفاجئة، أجابتها رفيقتها أن على الرجال أن يتصرفوا وليس عليهن إلا أن يتمتعوا ويؤمنوا مستقبلهن ومستقبل أبنائهن .

لم يطمئن محمود قط إلى سليمان، فقرر أن يُقربه أكثر أو يحاول توريطه فيما يخوض وعزيز فيه.

كانا يجلسان في المساء في الصيدلية، وقد أغلق محمود الباب عليهما وقال لرفيقه:

- ألن تتزوج؟ الفتاة لن تظل في انتظارك إلى الأبد.

- أنت ترى الظروف وركود الأحوال.

- وأنا لدي الحل. قلة الرزق تُهدد الجميع، وعلينا أن نحفر في الصخر كي نجد لقمة عيشنا.

رفع سليمان عينيه إلى محمود وقال ساخرًا:

- نحفر في الصخر أم نحفر القبور؟

- نحن الآن على نفس الموجة يا صديقي إن كنت لا تريد أن تلوث يديك بالدماء فهذا حقك أنا أيضًا لن أقتل عزيز ورفيقته الغانية هالة سيتوليان

القتل، وتوفر رِهام الضحايا ممن لا أهل لهن أو يسهل اختفائهن دون إثارة الشُبهات لن نقتل أحدًا في بيته فلا تقلق كل المهمة ستتم في مركز التجميل، وعليك أن تضبط كاميرات المركز بحيث يحل محل الوقت الذي تدخل فيه الزبونة المكان تسجيلًا مستمرًا للمركز وهو خالٍ أو تتحرك فيه هالة أو منار بشكل طبيعي .

- لا تذكُر اسم منار على لسانك

ابتسم محمود وأشعل لفافة تبغ وقال:

- هل أنت واثق في أنها غير متورطة مع الغانيات صديقات رِهام؟ كلهن من كبيرتهن إلى صغيرتهن عاهرات لا يغرك الملابس والذهب والمال، ولا تغرك خطيبتك التي تُشبه الغفير. «لكل فولة كيّال».

اعتمل الغضب في نفس سليمان، لكنه كعادته لم ينفجر أو يزِد. لاحقًا سيلوم نفسه كثيرًا أنه لم يقل كذا أو كذا، لكنه الآن قام وغادر الصيدلية دون أن يلتفت خلفه. صاح محمود في وداعه ضاحكًا:

- في انتظار عودتك يا صاحبي. لا تتأخر.

* * *

عم هلال هو والد لكل شباب المنطقة، وجد لأطفالهم. يعرف ما تخبئ نفوسهم قبل أن يعرفوا هم، يلاحظ التغيرات في وجوههم قبل أن تلحظها أمهاتهم وزوجاتهم.

كان أميًا، لكنه كان أستاذًا في قراءة النفوس. لميجد سليمان بُدًا سوى اللجوء إليه، فعم هلال رجل حكيم، يخاف على أبناء منطقته أكثر مما يخاف على نفسه.

حكى للعجوز كل شيء، ومدَّ يده بشريحة ذاكرة صغيرة وضعها على الكاونتر بينهما وقال:

- لدي نسخة مما حدث في شقة السيدة الثرية. أنا تعبت يا حاج هلال

ولا أنام. أفكر في أن أسلمها للشرطة وليكن ما يكون. هم يخططون للمزيد من الجرائم.

- أنت ستقبل عرض محمود يا سليمان. وعليك أن تُنبه منار لما يحدث، وتطلب منها أن تُصور كل ما سيدور عند هذه السفاحة. لكن عليك أن تظل على موقفك، وتبدو مغصوبًا على ما ستساعدهم به كي لا يشكُّوا فيك.

- لكن يا حاج هلال، بصمتي هذا سأكون متواطئًا معهم في الجرائم التي سيقومون بها.

- يا سليمان، لا أستطيع أن أرى عزيز ومحمود وحبل المشنقة حول رقبتيهما. يجب أن نمنعهم مما ينتوون يا بُني. لنصورهم ونُهددهم بما صورناه وإن لم يمتنعوا فساعتها..

قال سليمان في عصبية:

- أنت لن تُبلغ عنهم يا حاج، مهما فعلا لن تُبلغ عنهم. اعذرني، فقد كنت أراك في مقام والدي، والآن.. آسف.. أراك شيطانًا أخرس..

لأول مرة يتفوه سليمان بما يُفكر فيه بالضبط. كان يرتجف وتغالبه رغبة في القيء ترك المغسلة وترنّح حتى بيته اندس في فراشة ودليل إدانة الجميع في قبضته

لو شجن، ما مصير أختيه؟ ما مصير والده ووالدته؟

العالم قاس لن يعاقب السفاحين، لكنه يحتفظ بحُكم الإعدام دومًا لأمثاله.



-٦-

الضوء الأزرق يدفع حُلكة الليل أمامه ويُنير وجوه الخمسة الواقفين جوار سيارة سهير زاهر. توقّف سليمان عن الحكي، حين سألت سهير:

- واستمر عزيز ومحمود في القتل؟

- لم أكن أعرف وقتها طبعًا فأنا لم أعد إليهما كما اقترح الحاج هلال. رحمة الله عليه حتى اليوم الذي أيقظني فيه محمود وعزيز وطلبا مني أن أنزل معهما كي أرى الجثة التي وجدها محمود في الشارع أنتم تعرفون أنني حين نزلت لم أجد شيئًا ظل محمود يخبرني أنه رأى جثة، لكنها اختفت سألته إن كانت جثة من الجثث إياها، فأجابني أنها واحدة منهن بالفعل مزّت الليلة ولم أفكر فيما قال مرة أخرى ربما هو تأثير الخمر وتأنيب الضمير أن كان لديها ضميرا .

سأل مهاب وهو يرمق الرجلين الصعيديين بجانب عينيه:

- وماذا عن الجثتين الأخريين؟

- رأيتهما، وكانت الجثة الثالثة التي وجدها الحاج هلال هي جثة كاريمان. الجثة الثانية لامرأة لا أعرفها.

- ثم بعد ذلك جاء اليوم الذي وجد فيه الكلب والأشلاء

- أجل. قال محمود أن الكلب هو كلب كاريمان الذي قتلوه ودفنوه معها أنا شخصيا لم ألاحظ موضوع الكلب هذا لكنني كنت في حالة يرثى لها يوم الجريمة فلم أعد أذكر أغلب التفاصيل الآن بعد هذا اليوم، قال لي محمود أنه خائف مما يحدث وأن هناك شيئًا مرعبًا يجري ربما هي أشباح السيدات أو شيء من هذا القبيل كنت قد سمعت عن شعبان وأحمد السبع، وهما مشهوران في بلدتنا، فأرسلت لهما كي يساعدونا في معرفة ما يحدث تحديدًا.

لأول مرة يسمع مهاب وسهير صوت الرجلين، قال المدعو أحمد السبع:

- شعبان رفاعي وأنا أفتح المندل وأقرأ الأحجار والودع. لكلينا عهد مع الجان ورثناه أبًا عن جد، ولدينا طلسمًا موشومًا يحمينا ضد الجنون من كثرة التعرض لمنظر الجان والعفاريت. نحن لا نراهم بينما الآخرون ممن يعلمون في هذا الـ«كار» يرونهم من وقت لآخر وينتهي بهم الحال إلى الجنون. جئت وبدأت في الكشف على المكان، ولم يكن هناك أي جان. أما

عن وجود عفاريت أو أرواح فهنا تنتهي حدود معرفتي. حصّنا المنازل بالأحجبة والقرآن ورحلنا. لكن يبدو أن محمود لم يقتنع بالزيارات الثلاث التي زرناها للمكان فاتصل بكم.

سأل شعبان:

- ماذا تعملان؟ من تتبعان من ملوك الجان؟

أجاب مهاب:

- لسنا من أهل كاركما. أنا مذيع وهي باحثة فيالماورائيات ولديها موهبة تصوير أي مخلوقات خارقة غير مرئية.

ضيّق شعبان عينيه وهو يتفحصها من أعلى إلى أسفل وبالعكس، ثم نظر إلى أحمد السبع الذي قال:

- أين تعلمتِ هذا؟

- لم أتعلمه. هكذا وُلدت.

سأل شعبان مهاب:

- هل يمكن أن نتصل بك لاحقًا؟

- بالطبع.. رقمي..

تبادل الرجلان أرقام الهواتف، ثم قالت سهير:

- لماذا تبعتمانا إلى الفندق؟

- أثرتم فضولنا. الحقيقة أنكِ أنت بالذات من أثرتِ فضولنا. ثمة شيء يحيط بك، أو يلتصق بظلك شيء.. شرير. لو أردتِ أن أكشف لك عن ماهيته سأفعل.

نظرت سهير إلى مهاب فقال:

- سنتكلم كثيرًا بعد أن نجد حسن أولًا. سليمان، لو أن شبح بديعة قد

خطف حسن أو استدرجه إلى مكان ما، أين قد يكون هذا المكان؟

قاطعهم شعبان:

- حين اتصل بنا سليمان الليلة بعد وفاة عزيز كي نساعده في معرفه قاتله، فتح أحمد المندل ورأى هو شبحًا قصيرًا يُحرك لوح الخشب فوق عزيز.

صاح سليمان:

- هي! هي الفتاة الصغيرة بديعة.. هي من قتلت عزيز!

تساءلت سهير في جزع:

- وهذا يعني أن حسن في خطر؟

نظر مهاب نحو المغسلة البعيدة وقال:

- أعتقد أن لدينا خيطًا يقودنا إلى مكان حسن.

* * *

كان أحدهم قد أغلق محبس الماء العمومي وفصل الكهرباء عن المغسلة، ونقلوا هلال إلى منزل أحدهم حتى يصل ذووه. الماء يغرق الأرضية وراحت بعض الملابس المصبوغة في سلة بلاستيكية تنزف صبغتها في الماء.

تساءل مهاب وهو ينظر حوله على ضوء كشاف هاتفه وهاتف سليمان:

- تُرى ماذا كانت تريد بديعة أن نراه في المغسلة؟ أما أن هلال قد قُتل في وقت سابق وهي فقط كشفت لنا عن جثته؟

حدّقت سهير إلى الماء الممزوج بالألوان على الأرض وتذكّرت شيئًا أخرجت هاتفها المحمول وأعادت مشاهدة ما صوّرته خلال اختبائهم من الأحجار جوار الغسالة كان الحصى الصغير ينزلق في فجوه ما خلف الغسالة ويختفي، ثم لاحظت آثارًا جر جوار الغسالة وكأنهم قد اعتادوا

تحريكها من مكانها.

أنارت جانب الغسالة الكبيرة فرأت الفراغ خلفها. سألت سليمان:

- ماذا يوجد خلف المبنى الذي نحن فيه؟

- منزل مُتهدم ومخزن قديم في حارة النجاة يُقال أنه كان جزءًا من مَحششة ريا وسكينة.

- ساعداني كي ندفع هذه الغسالة

***

ظلّ محمود يجول في الحجرة المُعتمة أمام حسن المُقيد بالكوفية على الأرض. راح يُتمتم وهو ينظر إلى هاتفه:

- الآن صرت وحدي تمامًا.. العاهرتان لا تزدان..

ثم التفت إلى حسن وصاح وعينيه تلمعان في جنون:

- وهل كنت أحتاجك أنت أيضًا؟! ماذا أفعل بك؟ ماذا أفعل بك؟ أقتلك؟ هه؟ ماذا رأيت أنت وماذا عرفت؟ ماذا عرفت سهير؟ أجبني؟

- نحن لم نرَ شيئًا ولم نعرف شيئًا. ما صورته الأستاذة سهير مجرد شبح يُردد جملة وحيدة.

- لا وجود للأشباح هنا، مفهوم؟! لست مُغفلًا.. لستُ مغفلًا..

ظل يُكرر عبارته الأخيرة مرارًا وهو يضرب صدغه بأصابعه، وأدرك حسن أن محمود قد جُن تمامًا. قال حسن محاولًا أن يحافظ على ثباته:

- هل أنت متورط فيما يحدث؟ لو اعترفت ربما..

قاطعته ضحكة محمود الذي أتبعها بقوله:

- متورط؟ لست أنا كلا، بل ريًا وسكينة. أجل، شبحا ريا وسكينة وعبد العال وحسب الله وكلهم. كلهم. تلك النسوة كن عاهرات. قُل لي، ما الذي

يدفع النساء إلى إجراء عمليات تجميل ودق الوشوم إن لم يكُن عاهرات وأموالهن حرام؟ هه؟ نحن أولى بهذا المال. نحن نشقى ونتعب من أجل تربية أطفالنا بينما هن ينفقن مالهن الحرام في نفخ أجسادهن هل تريدني أن أحيط رقبتي بحبل المشنقة لأنني طهرت المجتمع من بعض الزانيات؟ لو لم يفت هذا الداعر عزيز لكُنا أنهينا عليهن جميعًا ثم أتبعناهن برِهام وهالة و.. و..

جلس محمود على الأرض مُستندًا إلى الحائط وأمسك رأسه بكفيه وغمغم:

- من الذي وضع الكلب خلف باب الصيدلية؟ عزيز ؟ من قتل عزيز؟ هالة؟ ولماذا تقتله؟ كلا.. لا وجود للأشباح.. تُرى، من التالي، هه؟ رِهام وهالة.. أجل، رِهام وهالة.. رِهام وهالة..

كان حسن يعرف أنه يغامر بانفجار محمود في أي لحظة، لكن فضوله الفَتي كان أقوى منه. على الأقل لو استطاع الفرار بمعجزة ما فسيفر بمعلومات مهمة. سأله:

- ما علاقة عم هلال بما يحدث؟

- ليحترق عم هلال في جهنم هو الآخر. لا يكف عن الوعظ والتدخل فيما لا شأن له فيه. يظن أنه قد ملَكنا طالما لم يُبلغ الشرطة عنه.

لتحميل المزيد من الكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات .

راح يُقلّد صوت طريقة حديث هلال ويقول:

- توبا يا ولداي عما تفعلانه.. قرش حلال أكثر بركة من عشرة قروش حرام.. سينتقم الله منكما.. ولمَ لم ينتقم من العاهرات وزادهم مالًا؟ هه؟ لأننا غلابة؟!

نظر إلى حسن مرة أخرى وتسائل:

- ماذا أفعل بك؟ هه؟ سأتصل بمهاب ليأتي هو وسهير فأدفنكم جميعًا هنا وينتهي الأمر. أجل.. لا مفر.. وحين تتعفن جثثكم وتظهر رائحتها، سأخرجكم إلى الطريق وأقول أن شبحا ريا وسكينة قتلاكما وألقيا بكما في الشارع.

- وهل بدأتم في إظهار الجثث كي تؤكدا أن هناك أشباحًا؟ واتصلتم بنا لنؤكد هذا الزعم؟!

ابتسم محمود بزاوية فمه، ثم قام وسار ببطء نحو حسن وهو ينظر إلى شاشة هاتفه المحمول، ثم ضربه على مؤخرة رأسه فأفقده الوعي .

* * *

شغَّلت سهير نظام الرؤية الليلة في كاميرتها الرقمية وانحنت ترى ما خلف الفجوة في الحائط. قال سليمان وهو يقف جوارها:

- هذا نفق، ربما يؤدي إلى المَحشَشة أو إلى أي حجرة مهجورة أخرى.

سأل شعبان:

- أين محمود؟

- لا أعرف تركته في الصيدلية بعد رحيل الحاج هلال رحمة الله عليه وفشله في إثنائه عن ذلك الطريق الذي سلكه كان يرى أن تلك الأحداث الغريبة غضب من الله عليه حاول الحاج هلال تخويفه من قبل بأن كتب على كلب ميت وجده عبارة «كلب نظلة» واتفق معي على أن أدسه خلف باب الصيدلية أخذت المفتاح من الدكتور قبلها بحجة أنني نسيت هاتفي المحمول بالداخل، ووضعت الكلب وربطه بحبل، ثم جذبت الحبل من الخارج فصار الكلب خلف الباب مباشرة، مثلما وصف محمود وضعية الكلب الذي زعم أنه رآه من قبل.

قال مهاب:

- بالطبع كتب عم هلال كلب نظلة بحروف خاطئة.

- أجل. ولم يكن هناك وقت كي نجد كلبًا ميتًا آخر، ولن نقتل كلبًا لأجل هذا الغرض. كانت خطة الحاج هلال هي تخويفه. كان رحمة الله عليه يعرف أن محمود كان يزعم أمر أشباح عصابة ريا وسكية لسبب لا يعلمه إلا الله. وأنه وعزيز يُخرجان الجثث لغرضٍ في نفسيهما. الله أعلم. كان هدفه أن يخاف محمود وعزيز وينهارا فيعترفا أو يكُفا عما يفعلانه.

قاطعه أحمد السبع:

- رحمه الله، كان يعاملكم كالأطفال. لا أريد أن اقول أنه يستحق نهايته، ظل يتستر على قتلة حتى قتلوه. من تظنه فعلها؟

- لا أعرف.. محمود؟

انحنى سليمان على رُكبتيه وأردف مخاطبًا سهير:

- دعيني أتقدمكم.

ولج سليمان في الفتحة ومن خلفه سهير ثم مهاب وشعبان، بينما ظل أحمد السبع واقفًا في المغسلة يراقب الطريق.

النفق كان قصيرًا، سرعان ما وجدوا أنفسهم في حجرة كئيبة مظلمة مليئة بزجاجات الخمر الرخيص والبيرة والقمامة والمياه الجوفية. لكن سهير كانت ترى شيئًا آخر تمامًا..

في كاميرتها الحوائط مدهونة بالجبس، والأرضية مكسوة بما يُسمى البلاط المالطي. ثمة وسادات للاتكاء على الأرض وبعضها مُستند إلى الحائط يقي ظهر الجالس شر الرطوبة.

كانوا ثلاثة رجال وامرأتان، إحداهما ترتدي جلبابًا منزليًا بلا كُمين من فوقه ملاءة «لف» سوداء، تُزين معصميها سبع أساور عريضة ويتدلى من أذنيها حلق ويحيط بكاحلها خلخال من الفضة. عادت امرأة ثالثة من الخارج تحمل زجاجتي خمر وطعامًا.

رأت سهير أحد الرجال الثلاثة يقضم شيئًا صغيرًا أخرجه من جيبه، ويضع

قطعة منه في زجاجة الخمر قبل أن يناولها للمرأة وهو يقول:

- أفضل كونياك لأجل عيون نظلة.

تدخل الطفلة بديعة مُتسللة من الباب، فينهرها أحد الرجال ويأمرها أن تخرج، فتخرج بعد أن تبصق عليه وهي تنظر إلى الطعام الشهي على الطبلية قامت نظلة بعد قليل واستأذنت في الرحيل، لكن أحد الرجال قبض على ساقيها وأحاط آخر بكتفيها من الخلف ووضع قطعة قماش مُبللة على أنفها وفمها .

النظرة المُستغيثة في عيني نظلة تلاقي أعين واحدة من المرأتين الجالستين غادرت المرأة المكان في ذعر، بينما سقط من يد الأخرى كوب الخمر.

كانت سهير ترى مقتل نظلة أبو الليل، ثاني ضحايا ريا وسكينة ورجالها

* * *

سمع محمود صوت شهقات سهير وتساؤلات مهاب وعرف أنهما قد جاءا بنفسيهما. كيف عرفا مكانه؟ لا يهم.. لا يهم..

أمسك بحسن وأجلسه أمامه، وأخرج مطواته ووضعها عن رقبته. كان يرتجل ارتجال من يهرب من أسد في قفص مُغلق.

دخل سليمان من الفتحة الصغيرة ورأى ما يفعل محمود، فرفع يديه عاليًا وقال:

- محمود.. أنزل المطواة. أنت تعرف أن المطواة إن أشهرت استوجبت دمًا يغسلها.

ضحك محمود وقال وهو يشير بنظره نحو ساق حسن:

- فات الأوان..

نظر نحو سهير ومهاب اللذين دخلا من خلف سليمان وقال لهما:

- أعرف أن لديك يا سليمان نسخة من تفريغ كاميرا كاريمان. سمعتك وأنت تحكي كل شيء لهلال. وأنتما، أنتما.. أوقعتماني في شر أفعالي. استعنت بكما لتأكيد شائعة الأشباح فهدمتما كل شيء على رأسي.

قال مهاب:

- نحن لا نعرف أي شيء يا محمود. هناك بالفعل أشباح، ورأينا شبح بديعة ابنة ريا كذلك. لا بُد وأنها هي المسؤولة عن تلك الجثث. نحن نساندك بالفعل. هيا نخرج من هنا ونرَ ماذا يمكننا فعله.

ضحك محمود حتى دمعت عيناه وقال:

- هل تظنانني مغفلًا؟ ماذا يجمعكما بسليمان ما لم يكن حكى لكما كل شيء؟ ما أفعل بكما؟ ماذا أفعل؟ أنت. سليمان، قيّد مهاب نحن في مركب واحدة يا صاحبي أليس كذلك؟ لماذا تريد أن تبيعني من أجل بعض العاهرات؟

قال سليمان وقد بدأ يتوتر:

- محمود.. لقد قُضي الأمر يا صديقي. لنذهب إلى الشرطة ونعترف أن عزيز هو من أغوانا. لنقل أننا تورطنا في مقتل كاريمان، ثم لنُلصق كل شيء آخر في هالة وعزيز ورِهام. ما رأيك؟ هه؟ منار ستساندنا.. لا تقلق..

- لن ننجو يا سليمان.. سيشنقوننا يا سليمان. أنت تعرف أنهم يظلمون الغلابة فقط، وستنجو رِهام وستنجو باقي العاهرات..

دوى صوت محرك يقترب بالخارج، محرك عالٍ قديم، ثم تهشم الباب الخارجي للحجرة؛ باب المخزن المطل على الشارع، لتظهر منه مُقدمة سيارة أحمد السبع وشعبان وتنير كشافاتها الحجرة.

انقض مهاب على محمود يُبعد المطواة عن حسن، بينما جذبه سليمان بعيدًا إلى رُكن الحجرة حيث جلست سهير جواره تضمه بذراعها إليها وتمسك باليد الأخرى كاميرتها.

لكم محمود مهاب، ثم اندفعت المطواة تجاهه لكنها لم تُصبه. تجمّد سليمان مكانه وراح يرتجف، بينما ظهر أحمد السبع يقفز من فوق مقدمة سيارته شاهرًا بندقيته.

ظل محمود يتلفّت حوله في ذعر، بينما يدور شعبان من خلفه حاملًا حبلًا ليفيًا. دفعه إلى الأمام فهوى محمود على رُكبتيه مُستسلمًا يُردد:

- هذا زمن لا ينجو فيه إلا العاهرات، ولا يظلم إلا الغلابة يا سليمان..

*****

-٦-

جاءت الشرطة وأخذت الجميع، وأرسلوا حسن إلى المُستشفى لتلقي العلاج.

جاء أسامة ومعه محامٍ، نصح سهير ألا تتحدث عن أي صور أو تسجيلات لديها وأن تقول أنها كانت في زيارة لمعالم المنطقة مع مهاب حين خطف محمود حسن لسبب لا يعلمه إلا الله، وقد ساعدهم سليمان لأنه يعرف بأماكن اختباء محمود.

اعترف سليمان كذلك بكل ما يعرف وسلّم ما معه من تسجيلات إلى الشرطة، وقال أن محمود مُختل عقليًا بسبب المخدرات والكحوليات، وأنه قرر مساعدة سهير ومهاب لأنه لم يكن يتصور أن يمتد أذى محمود إلى الغرباء ومحاولة سرقتهم.

ظل محمود يتحدث عن الأشباح وعن سهير ومهاب والصعيديين اللذين شهدا أنهم من أقارب سليمان وتصادف وجودهما في المكان فقررا مساعدة قريبهم.

داهمت الشرطة الأنفاق والحجرات المهجورة وأخرجوا منها بقايا الأشلاء التي ضبطوها من قبل، وقد طابقت الأوصاف بعض المفقودات اللاتي كن يترددن على مركز تجميل في سموحة.

ألقي القبض على رِهام التي اعترفت فورًا، أما هالة فظلّت تراوغ وتحاول توريط أكبر قدر من الآخرين معها ثم أخيرًا اعترفت أنها قد سرقت التسجيل الذي تملكه رِهام وكانت ذاهبة لتُعطه لعزيز حين يتقابلان في حمام الورشة، وحين أتت في الموعد رأت الشارع يتحدث عن وفاته. قررت من وقتها أن تقطع علاقتها بمحمود وطلبت من رِهام كذلك أن تتوقف عن أي نشاط لهم بعد وفاة القاتل المُحترف بينهم؛ عزيز.

لكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السُفن، فأغرقتها وطَفت الحقيقة على السطح أخيرًا.

إلا زينب والدة نظلة أبو الليل ظلت تجوب طرقات الحي دون أن يراها أحد، تسأل عن ابنتها وتتساءل بأي ذنب قُتلت، وظلت بديعة حسب الله ترمي الحجارة على المارة من وقتٍ لآخر وتضحك، حتى اختفت.. لكن، هل ستعود؟

*****

الخاتمة

اتصلت والدة محمود بسهير وبكت، كانت تأمل في أن تنقذ ابنها بعدما علمت بتورطه في جرائم ما. زوجته كانت تعرف وتُشجعه وتتستر عليه، بل وتُشجع زوجة عزيز على ذلك.

سألتها سهير عن سبب إخراج محمود للجثث من مدفنها، فقالت أنها لم تكن تعرف في البداية أن ابنها متورط في جرائم قتل، لذا فلا أحد يعرف السبب الذي كشف محمود من أجله نفسه وشركاءه.

***

في مساء ليلة دافئة، كانت سهير تجلس في الستوديو تجمع بعض المواد العلمية لكتابها الثاني؛ أشباح الشوارع، حين شعرت ببرودة مُفاجئة وخوف غير مُبرر.

نظرت أمامها لتراني عند الركن. نظرت إلى باب الستوديو لتتأكد أنه مُغلق. أنا لست قليل الذوق لأزورها دون علمها، ربما أنا أكثر الشياطين اتباعًا لقواعد الذوق.

قامت وأشارت إلى المقعد أمام مكتبها وقالت:

- أتيت في موعدك.

- لا أتأخر أبدًا.

- ماذا تريد؟

- ألا تريدين أنتِ شيئًا؟

- بخصوص؟

- قضية ريا وسكينة؟

- ماذا تعرف عنها؟

- اسألي..

- أكنت تعلم بتفاصيلها ولم تساعدني يا آدم؟ تركت حسن يُجرح وتركت هذا المخبول يضرب مهاب؟

- حسن بخير، الندوب جذابة للفتيات، لقد أسديت لجسده الطري معروفًا. أما مهاب، فلكمة لن تؤذه كثيرًا. وأنت..

- أنا؟

- أنت طفلتي الصغيرة التي قادت دراجتها لأول الشارع ثم عادت سالمة. باستثناء خسارتك لملابسك الأنيقة فقط.

- آدم. ضع حدودًا لحديثك معي.

- الحدود محفوظة يا صغيرتي. اسألي..

جلست سهير خلف مكتبها وسألتني مُتحاشية النظر إلى عيني:

- من أحمد السبع وشعبان؟

- كما قالا لك.

- دجّالان؟

- كلا. صادقان.

- ما علاقة بديعة بهما؟

- الطفلة كانت تحاول تنبيههما إلى ما يحدث،باعتبارهما أول غريبين يتدخلان في التحقيقات لكنهما مُحصنان ضد رؤية الجان والأشباح فلم يرياها هكذا استشاطت الطفلة غضبًا، وهذا كان معروف عن بديعة حسب الله التي كانت تحب قذف الناس بالحجارة ورشهم بالماء وإخراج لسانها لهم، بل وإمطارهم بالشتائم لكنها وجدت ضالتها فيكم، تحديدًا في حسن الذي هو أقرب إلى عمرها. كانت بديعة تكره الكبار وتخافهم طيلة عمرها.

- فهمت..

صمتت سهير قليلًا وهي تستعيد أحداث اليومين القاسيين، ثم قالت:

- ما الذي دفع محمود وعزيز لكشف مكان الجثث؟

- هذا هو السؤال الأهم يا صغيرتي.. قبل زع محمود رؤيته لأول جثة، أغرقت المياه الجوفية الحجرة التي كانوا يدفنون فيها ضحاياهم، وطَفَت جثتان رآهما عزيز كانت عملية نقل الجثتين إلى مكان في الجوار شاقة، وربما يشعر بهما أحد، أو يسارع أحد السكان بإصلاح تسريب الماء وكشف باقي الجثث التي كانت الجديدة منها مُمزقة إلى أشلاء لسهولة نقلها ودفنها في هذا الحيز الصغير.

تذكر انك حملت تلك الرواية من موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والنادرة والجديدة .

اقترحت هالة المُختلة المهووسة بالقتل والموت فكرة عودة ريا وسكينة، وإرساء الخوف في نفوس السكان حتى يمكثوا في بيوتهم ويمنعوا أطفالهم من الخروج ونساءهن من النظر عبر النوافذ. زعم محمود أنه رأى أول جثة، وكان مجرد زعم لا أكثر. الجثة الثانية أخرجوها ورآها الناس، ثم حين خبئوها في مدخل المنزل، أعادها عزيز عبر مدخل حمام الورشة الداخلي إلى حجرة الدفن. كذا فعلوا مع الجثة الثالثة حين غطوها بغطاء عالٍ مكّن عزيز من سحبها عبر فتحة في أسفل الجدار.

استعادت سهير منظر المطر الذي كان يتسرب من أسفل الحائط الذي كانت توقف جواره سيارتها. أردف لاشين:

- ثم بدأت الأصوات والروائح، وهي أمور سهلة التنفيذ، إلا أنني أقولها لك يا سهير، لم يكن هناك دفوف تُدق أثناء جرائم القتل الأصلية. هي إضافة ساذجة منهم لا أكثر تأثرًا بالأفلام حين هلع الناس وخرجوا من بيوتهم، تسلل محمود وعزيز وألقوا بالأشلاء في الشقق المفتوحة وكتبوا بالأمعاء لفظة قرن، قاصدين أن يُلمّحوا إلى أن أشباح ريا سكينة قد عادت بعد مائة عام لكنهم بالغوا في التحذلق يا سهير، ولم أجد معنى الكلمة.

- وكلب نظلة؟

- تفصيلة لا أساس لها من الصحة، لكن البعض كان يزعم أن لنظلة أبو الليل كلبًا كان يُخيف من يقترب من بيتها، إذ كانت تعيش وحدها. يبدو أن محمود كان سيظهر كلب كاريمان في مناسبة أخرى كما فعل عندما زعم رؤية الجثة الأولى تمهيدًا لظهور الجثة الثانية.

- ومن قتل هلال؟

- الرجل مات من اندفاع الماء بعد أن فجّرت بديعة المواسير كي تلفت نظركم إلى مكان حسن. ميتة مفاجئة هادئة.

- أحيانًا ما أتعجب من تشابه ما حدث قديمًا وما حدث الآن. البؤس والخلل النفسي والحاجة إلى المال.. الخمور والمخدرات وقتل من وثقوا

بالقتلة. مائة عام بالضبط مرّت على الجرائم القديمة.. المياه الجوفية كشفت الجثث بنفس الطريقة. الكيفية التي قتل بها عزيز الضحايا.. الخمر والمخدر ثم الخنق. النظرية المُتعالية التي كان ينظر بها القتلة إلى ضحاياهم رغم أنهم لا يختلفون عنهم في شيء

- أزيدك من الشعر بيتًا يا سهير؟ ألقي القبض على ريا وسكينة عام ١٩٢٠، وهو نفس العام الذي أطلق فيه عمارة قابيل جد مهاب شيطان الرعب من مكمنه. قبل مائة عام من إذاعة الموسم الثاني من بعد منتصف الليل وتلبُّس شيطان الرعب بجسد حفيدك.

سرت القشعريرة في جسد سهير. عقدت حاجبيها ودفع نفسها بعيدًا عن المكتب وقالت وهي تنظر إلى أناملها:

- أريد أن أنفرد بنفسي بعد إذنك.

- بالطبع..

- آدم.. هل تتجسس عليّ؟

- كلا.. أنا فقط أعرف ما تفعلين وما تشعرين به.

- هل يمكن أن تكُف عن ذلك؟

- سأحاول، لكنه وعد كوعد الأب لابنته بأن يكف عن النظر إليها عبر النافذة وهي تسير إلى مدرستها. سأحاول، لكنني لا أضمن هذا. لا تنسي أن الشياطين لا يفون بوعودهم.

لم أضحك، لكن شياطيني ضحكت.

اختفيت إلى الظلام كما ظهرت منه، تركتها وحيدة، لكنها أبدًا لن تكون وحدها وأنا حي.

لتحميل المزيد من الكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات .

الإسكندرية- شارع علي بك الكبير

نوفمبر- ٢٠٢١

تسلل أحمد السبع وشعبان حاملين أدوات الحفر إلى منزل رقم ٨، أو كما يقال رقم ٩ حارة النجاة، والمعروف بالمَحششة. وصلا إلى حيث اختطف محمود حسن، وفي نيتهما تحطيم أساسات المنزل النخرة كي ينهار وينغلق باب الشر.

كان أحمد السبع قد جاء لزيارة والدة محمود بعد إلقاء القبض على الأخير، بعد أن طلبت منه أن يفتح المَندل عندها –وفتح المندل يستلزم أي شخص قريب من مكان وقوع الجرائم كي يرى العراف من خلاله الجاني- على أمل أن يكون محمود بريئًا حتى بعد إثبات التحقيقات التهم عليه ومن معه.

ما رأته المرأة على سطح المنديل أفزعها وظلت تلطم خديها وتتمرغ على الأرض. بعد أن أفاقت أمسكت بمعصمي أحمد السبع وقالت مُتسعة العينين:

- المَحششة.. هي بداية المصائب كلها.. اهدموها.. أحرقوها..

لذا، لما خشي الرجلين أن يحرقا المكان فتلتهم النيران المنطقة كلها. كان قرار خلخلة الأساسات أكثر عملية.

حين وصل الرجلان وجدا أرضية الحجرة محفورة، وأدوات الهدم في صندوق جوار الحائط. من فعلها؟ أحد أهل المنطقة؟ هل لهم علم بأصول هدم الأساسات؟

كنت أعرف أنه وبحُكم عمل شعبان كرفاعي، كانت لديه خبرة بالأنفاق وحفر المقابر الأثرية وتطهيرها من الأفاعي دون أن تتهدم. وهي خبرة قلّ أن تتوافر في مدينة.

تلفَّت أحمد السبع حوله وهمس لصديقه:

- أتذكُر التواجد الشرير الذي شعرنا به مع سهير زاهر؟

- أجل.. أنت أيضًا تشعر بوجوده هنا؟

- هيا بنا.. لن نُغامر وقد قام أحدهم بالواجب. اتصل بمهاب في أقرب وقت لنرى ماذا يحدث معهم وأي شر يترصّد بهما.

خرج الرجلان من حيث دخلا مُتسللين. كنت واقفًا في الركن الذي دُفِنت فيه النساء بعد أن خلخلت الأساسات ودسست تمائم الاستدعاء في الأركان هذا مكان زاره شيطان الرعب ذاته، وعاد لزيارته بعد مائة عام لو لم يجد أحدهم طريقة لقتلي خلال المائة عام القادمة، ولو لم أجد أنا طريقة لإخراجه من جسد حفيد سهير، سأكون له بالمرصاد حين يعود .

في تلك الليلة، أرسلت شياطيني إلى حيث التمائم، فرجّت طاقتهم الشياطينة المكان، وتهاوت محششة ريا وسكينة دون أن تصيب مخلوق بضرر.

أنا لكم بالمرصاد أيها الأبالسة، حتى لو صرت واحدًا منكم.

*****

تعقيب من المؤلفة

سقط منزل رقم ٩ أو ٨ حارة النجاة في بدايات شهر نوفمبر ٢٠٢١ من تلقاء نفسه، ولم يُصب أحد من أهل المنطقة الطيبة بأذى.

كل المعلومات الواردة في الرواية تستند إلى روايات شفهية وإلى كتاب رجال ريا وسكينة للكاتب صلاح عيسى .

لا تهدف الرواية إلى الإساءة إلى المنطقة الأثرية النبيلة، لكن الشر قد يتسلل في نفوس الضعاف في أي مكان وأي وقت .

- تمت بحمد الله -